وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس:

مدخل الى تاريخ الحضارات القديمة

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك LMD تاريخ عام – السداسي الأول–مطابق لبرنامج مقياس مدخل الى تاريخ الحضارات القديمة

من إعداد الدكتورة: نادية يفصح

السنة الجامعية 2024-2025

التعريف بالوحدة:

السداسي: الأول

وحدة التعليم: استكشافية

الرصيد :01

الادة :مدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة

المعامل:1

الحجم الساعي والتكويني:

المحاضرة: ساعة و30 دقيقة

الأعمال الموجهة: ساعة و30 دقيقة

الحجم الإجمالي 45 سا

أهداف التعليم:

تهدف هذه الوحدة الى تمكين الطالب من التعرف على حضارات جنوب غرب أسيا ومصر، وكيفية نشأتها ومراحلها الكبرى، ودراسة مظاهرها السياسية والاقتصادية والدينية، ومختلف إنجازاتها، وتأثيراتها على حضارات العالم القديم، وسنتعرف أيضا في هذا المقياس على جذور ومنطلقات هذه الحضارات، وأسرار ديمومتها التاريخية من خلال أدبيتها وممارستها السياسية والعقائدية والطقوسية التي تمظهرت من خلال المصادر المادية والأدبية لتلك الفترة.

المعارف المسبقة المطلوبة:

تعتمد هذه المادة على تعرف الطالب على معطيات تاريخية تتعلق بمختلف الحضارات التي عرفها العالم القديم بجنوب غرب أسيا ومصر، ومظاهر الحكم بها، والحياة الاجتماعية والاقتصادية المرافقة لقيام هذه الحضارات مع اعتمادها تلك الفترة على بناء وتشييد المدن والعمران، وسن دستور يعد من أهم الدساتير في العالم مثل قوانيين حمورابي.

القدرات المكتسبة:

•إدراك الطالب لمعنى الحضارة والتطور الحضاري وأهمية اختراع الكتابة في حياة الشعوب القديمة.

•تفريق الطالب بين مستويات الحضارات القديمة في العلوم والتقنيات والاقتصاد والمجتمع.

•معرفة مدى تفاعل الإنسان مع بيئته وتطوير الوسائل والتقنيات لاستغلال ثرواتها.

•تمكن الطالب من تحديد مواقع الحضارات القديمة على الخريطة.

الكلمات المفتاحية:

الحضارات، السياسة، المجتمعات، الاقتصاد، العالم القديم، جنوب غرب أسيا، الحضارة الفرعونية، حضارة بلاد الرافدين، الاغريق، الفرس، العيلاميين، السوريين، التطور الحضاري، اختراع الكتابة، قانون حمورابي، الأهرامات، الديانة القديمة، الكهنوت، المعتقد، المصادر المادية، المصادر الأدبية.

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى جذع مشترك تاريخ عام.

الهدف العام:

أن يكون الطالب في نهاية المقياس قادرا على معرفة وفهم مظاهر الحضارات القديمة التي أبدع فيها الانسان القديم في مختلف فتراته وحضاراته كانت فرعونية أو بابلية أو سومرية، أو غيرها، مع رصد التفاعلات والتأثيرات التي ظهرت بين هذه الحضارات في العالم القديم.

الأهداف الخاصة:

1. أن يتعرف الطالب على بدايات الحضارات القديمة بعدما يلقي ضوءا على فترة فجر التاريخ.
2. أن يميز الطالب بين أهم الحضارات وتطوراتها السياسية التي ظهرت في العالم القديم.
3. أن يفسر الطالب وضع الحضارات القديمة وأهم تجلياتها السياسية والحضارية.
4. أن يشرح الطالب التطور الكرنولوجي للأحداث التاريخية لشعوب العالم القديم.

محتوى المادة:

1- مفهوم الحضارة.

2- الإطار الزمني والمكاني لظهور الحضارات.

3- حضارات غرب جنوب أسيا ومصر.

4- المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة: المصادر المادية – .المصادر الأدبية.

5- حضارة بلاد الرافدين.

-المراحل الكبرى (سومر-أكاد-بابل-أشور-الدولة الكلدانية).

6- مظاهر حضارة بلاد الرافدين.

7- حضارة فارس وعيلام.

8- حضارة سوريا القديمة.

9- التوسع والمواجهة في جنوب غرب أسيا (الحروب الميدية)

10- النزاع الفارسي المصري- حروب البلوبونيز.

11- حضارة مصر الفرعونية (التاريخ السياسي)

12- مظاهر حضارة مصر الفرعونية.

13- الحضارة العربية قبل الإسلام (التاريخ السياسي).

14- مظاهر الحضارة العربية قبل الإسلام.

المصادر والمراجع المعتمدة: كتب، مطبوعات، مواقع أنترنت، الخ.

طريقة التقييم:

علامة الأعمال الموجهة40 $\%^0$ + علامة الامتحان60 $\%^0$

مقدمة

مقدمة:

لقد عرف العالم القديم حضارات تركت بصمتها للإنسانية التي ما فتئت تحاول فك شفرة رموزها وقوة إنجازاتها، وعجائب صنائعها، فكانت تلك الحضارات القديمة التي دامت ألاف السنين. وخلال هذه المرحلة التاريخية الطويلة برزت حضارات كثيرة، تمركزت معظمها على ضفاف الوديان والأنهار التي ساعدت على خصوبة التربة واستقرار الانسان، وإعالة جماعات من السكان المزارعين، وسهلت عملية نقل وتمويل المدن والقرى بعد أن تم تنظيم الحياة المدنية في هذه المراكز.

من المحتمل أن مصر وبلاد الرافدين، كانتا أقدم هذه المراكز الحضارية التي انتشرت فيها حياة الاستقرار والتمدن، حيث تعود الى حوالي الألف الرابع قبل الميلاد. إنّ ذلك التشييد العمراني ومكونات سياستها وأليات ادارتها، وتركيبة مجتمعاتها المبني على الطبقية (الفرعون الحكام والكهنة والعامة) الذي بلورته الأحداث والتوسعات، وحتى التأثيرات والعلاقات بين شعوب تلك الحقبة، جعل الشرق الأدنى مهدًا للحضارات، ورفعت بها معالم العالم القديم، وبذلك تُعد حضاراتها إرثاً عالمياً، ابتداء من عهد الدولة القديمة للحضارة الفرعونية المتجلي في الأهرامات التي جسّدت ملوكاً وحفظتهم مثل "خوفو، وخفرع، ومنقرع"، أو في حكم السومريين والبابليين الذي ظهر فيه شخص حمورابي وقوانينه العالمية، والكتابة المسمارية التي تطورت مع شعوبها التي كونت بلاد الرافدين.

ان هذا المسار يفرض نفسه، بل يؤكد ويجعل من دراسته أولويات ذات أهمية للطالب بهدف التعرف على تحليلات جذور نشأة الحضارات ومسارها ومخلفاتها المختلفة، ايديولوجياً وفكرياً وعقائدياً، والتي إن اختلفت في الشكل والأليات، فإنها لا تختلف في الجوهر. وإن اتفق مختلف المؤرخين والاركيولوجيين بأن تاريخ الحضارات القديمة هو بداية لنشاط الانسان في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والعقائدية، إلا أن تصاعد الفكر التوسعي والاحتلال، بدأ في فترات الاضمحلال لهذه الحضارات.

عنوان مقياس "**مدخل الى تاريخ الحضارات القديمة**" واسع وشاسع، يشمل من المفروض كل الحضارات الإنسانية التي ظهرت في العالم القديم، لكن عندما نعود الى محتوى المادة مثلما جاء في برنامج عرض التكوين المسطر من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، نجد أنه اقتصر في بعض حضارات الشرق الأدنى القديم دون غيرها، فاذا أردنا تسليح الطالب بقاعدة صلبة، لتمكينه فهم سيرورة ونشأة الحضارات وعلاقاتها فيما بينها، لا يكون بالقفز على مرحلة من مراحلها، أو باستثناء وإلغاء حضارات مهمة من البرنامج المسطر، كحضارات شمال افريقيا التي تخص تاريخ الجزائر القديم، هذه الحضارة التي لم تفقد صلتها بوادي النيل في أي فترة من فترات تاريخها، وكذلك حضارة جزر

بحر ايجه التي كانت شديدة الصلة بسوريا والأناضول في جميع عصور التاريخ، والحضارة الرومانية، وحضارات الشرق الأقصى، وغيرها.

إن المطلع على عروض التكوين نظام تاريخ عام يجد هذه التناقضات الواضحة، حيث اقتصرت مادة "مدخل الى تاريخ الحضارات القديمة" في بعض الحضارات كما أشرت أعلاه، وتكررت بعض المواضيع في البرنامج، كما نراه في المحاضرة الثالثة الموسومة "حضارات جنوب غرب أسيا ومصر" التي أعيد برمجتها في المحاضرات الموالية من عرض التكوين، والتي خصصت لحضارات بلاد الرافدين وعيلام ومصر وغيرها، كما أنه لا يمكن فهم موضوع النزاع الفارسي الاغريقي دون العودة المسبقة للحضارة الاغريقية وعلاقاتها ببلاد فارس. إن هذا التناقض، وعدم التنسيق بين المواضيع، تُشتت ذهن الطالب وتُفوت عليه فرصة الاستيعاب الجيد للأحداث التاريخية وربطها بعضها البعض بشكل واضح.

ومن هنا نرى أن المحاور المدرجة ضمن هذا المقياس في مدونة عرض التكوين، لا توفي بالغرض ولا تتوافق مع العنوان المخصص لها، كما أشرت اليه من قبل. ومن تجربتنا في دراسة وتدريس هذا المقياس ولتعم الفائدة للطلبة، دائما ما يقع تحويرا على المحاور الأساسية المدرجة في مدونه لأجل تعميق الفهم وتمكين الطالب من هذا السياق التاريخي والعودة به لكل الحضارات، التي تخدم تكوينه في طور الليسانس، نذكر على سبيل المثال مقياس "تاريخ وحضارة المغرب القديم" الدي يدرسه الطالب في السداسيين الثالث والرابع.

لذلك فقد اعتمدت في هذه المطبوعة الى وضع الطالب في السياق المعرفي والأبستمولوجي لمصطلح الحضارة وتعدد استعمالاته، فكانت المحاضرة الأولى تعريف الحضارة والثقافة اللتان اختلفت الأراء حولهما حسب الخلفية الفكرية لصاحب كل تعريف، ونتيجة لذلك ظهرت تعريفات متعددة ومختلفة لمفهوم الحضارة، فاستعرضت بعض النماذج منها.

تطرقت في المحاضرة الثانية لموضوع كيفية تقسيم المؤرخين لتاريخ الانسان الطويل الذي امتد من عصور ما قبل التاريخ أو ما اصطلح له بالعصور الحجرية التي امتدت من ظهور الانسان الى ابتكار الكتابة والتي تتقسم بدورها الى مراحل كبرى، تلتها العصور التاريخية التي تبدأ من ظهور الكتابة الى يومنا هذا، وقد قسمت هذه العصور بدورها الى أربع فترات: القديمة والوسطى والحديثة والمعاصرة.

لدراسة تاريخ الحضارات القديمة يستعين الباحث بمصادر متعددة ومختلفة وكتب ومراجع أساسية وثانوية، وهو ما تناولته في المحاضرة الثالثة مع إعطاء أمثلة لكل نوع منها، ليدرك الطالب ويميز بين المصادر بمختلف أنواعها كتابية كانت أم أثرية، ويتعرف على أهمية ما تحتويه من معلومات، ويتعلم كيفية الاستفادة منها بعد تحليلها وغربلة ما جاء فيها.

كما خصصت في هذه المطبوعة دروس حول حضارات جنوب غرب أسيا ومصر، تعرضت فيها لدراسة مظاهرها المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) . فبدأت بحضارة بلاد الرافدين وحضارة فارس وعيلام ثم حضارة سوريا القديمة وحضارة مصر وكذلك الحضارة العربية قبل الإسلام. وتناولت بعض الصراعات والمواجهات التي قامت بين هذه الحضارات كالحروب الميدية وحروب البيلوبونيز.

لقد تطرقت للمواضيع المقترحة في برنامج هذا المقياس بشكل وجيز، لأن كل موضوع منه يحتاج إلى مجلدات، لذلك فقد ركزت على المعالم الرئيسية التي تكون في متناول الطالب الجامعي، والتي تفتح له المجال وتوجهه للبحث والتعمق أكثر في هذه المواضيع، من خلال العودة الى المصادر والمراجع المتخصصة التي أشرت إليها في قائمة البيبليوغرافية في أخر هذه المطبوعة.

المحاضرة رقم 01: مفهوم الحضارة

تمهيد

1. معنى الحضارة

1.1. معنى الحضارة لغة

2.1. معنى الحضارة اصطلاحا

2. عوامل قيام الحضارة

3. عوامل انهيار الحضارة

4. مفهوم الثقافة

- **تمهيد:**

شهد تاريخ العالم القديم ظهور حضارات إنسانية متقدمة تركت بصماتها البارزة وأثارها التي تشهد على تطورها، وقد أثارت هذه الحضارات اهتمام العلماء والباحثين المتخصصين في مختلف المجالات، فسعو لدراسة وتحليل العوامل الأساسية التي أدت الى قيامها وتطورها وانهيارها، هذا ما أدى الى اختلاف أراء هؤلاء حول معنى الحضارة والأسس التي ترتكز عليها.

1- معنى الحضارة:

من الصعب تحديد معنى الحضارة تحديدا دقيقا، حيث تكمن الصعوبة الأولى في تنوع التقاليد الثقافية واللغوية في الحضارات الإنسانية المختلفة، وتتمثل الصعوبة الثانية في اختلاف وتضارب التعاريف والمفاهيم للحضارة التي يقدمها الباحثين والكتاب على اختلاف تخصصاتهم، فعلى سبيل المثال، فان المؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم قاموا بتعريف الحضارة وفقا لمجالات اهتمامهم وتخصصهم، لذلك فقد اختلفوا في المفهوم وفي مكونات الحضارة ومسارها في التاريخ، هذا ما أدى الى تعدد واختلاف أراء العلماء والمتخصصين في تحديد معنى الحضارة.

1.1. معنى الحضارة لغة:

الحضارة اسم وجمعها الحضارات، مصدرها حضّرّ، الحضارة تعني الإقامة في الحضر وهي التمدن، والتمدن مشتقة من المدن التي يعيش فيها مجموعة من البشر بصفة إقامة دائمة، وعكسها البداوة والتي هي مرحلة سابقة لمراحل تطور الإنسان، تعيشها المجتمعات البدائية التي تعتمد على وسائل بسيطة في مرحلة حياتها كالصيد والقطف والتنقل والترحال أينما وجد الملأ والكلأ. فالحضارة في اللغة العربية ترتبط بالحضر والعمران، أي أن المصطلح في العربية ذاتها يحمل المعنى الاجتماعي وذلك عند اعتبار الحضارة علامة على الحضور والإقامة والاستقرار، وهذه كلها تحمل معاني اجتماعية، فاذا سكن الناس واستقروا نشأت بينهم صلات اجتماعية أكثر وارتبطت مصالحهم ونشأت بينهم سبل التعاون، واتجهوا الى بناء المدن والابداع والانتظام والتنظيم. على ضوء ذلك فان مفهوم الحضارة في اللغة تعني الإقامة في الحضر "الاستقرار" والتمدن.

2.1. معنى الحضارة اصطلاحا:

اختلف العلماء في تعريف معنى الحضارة، ما أدى الى ظهور عدة مفاهيم، نذكر منها ما يلي:

أ. مفهوم الحضارة عند ابن خلدون(1332-1406):

عبد الرحمن ابن خلدون مؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، تونسي المولد، تنقل بين المغرب والأندلس ومصر، ترك العديد من المؤلفات والكتب، من أهمها "مقدمة ابن خلدون" وكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر..." ، ومفهوم الحضارة عند ابن خلدون هي الانتقال من البداوة الى الإقامة في الحضر، ويعتبرها أوج الترف ومنتهى التطور الثقافي، فالحضارة عنده غاية العمران ونهايته وعلامة على فساده، ولقد استخدم ابن خلدون عدة ألفاظ في وصف الحضارة، فتارة يطلق عليها الدولة والعمران، وتارة أخرى الحضارة، وهو يقصد بها في جميع الأحوال تحول مجموعة من البشر من حالة البداوة الى الحضارة.

تتعاقب الحضارة على الأمم حسب ابن خلدون في ثلاثة أطوار وهي طور البداوة ثم طور التحضر، ويليه طور التطور الذي يؤدي الى السقوط. فأما طور البداوة فيتمثل في معيشة البدو في الصحاري، والبربر في الجبال، والتتار في السهول، وهؤلاء لا يخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم، وأما طور التحضر فهو طور تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح، ثم الاستقرار في المدن والتمكن من العلوم والصناعات، وهذا الطور يقوم حسب ابن خلدون على الدين والعصبية، وأما طور التدهور فيأتي في نهاية التحضر بعد مرحلة الازدهار ووصول الناس الى الانغماس في الترف، والتحلل في الأخلاق، ويرى أن مراحل تحضر الدولة هي ذاتها عوامل تدهورها، ذلك أن الحضارة وإن كانت غاية العمران، ففي الوقت نفسه مؤذنة بنهاية عمره.

ب. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي (1905-1973):

ولد مالك بن نبي في قسنطينة، ويعتبر أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، وضع مالك بن نبي عناصر الحضارة في ثلاثة محاور، تمثل المحور الأول في عنصر الانسان الذي اعتبره المحرك الأساسي لقيام الحضارة ، ويتجلى ذلك من خلال تأثير الفرد في بناء المجتمع وبذلك عدّ الانسان أولوية لولادة الحضارة، فاذا تحرك واندفع بفاعلية من خلال تحويل الفكرة الى عمل نهضت الحضارة، وأما المحور الثاني فيعتبره بن نبي في عنصر التراب الذي قصد به الأرض التي تنطلق منها الحضارة والتراب يحمل في طياته مدلولات واسعة، فهو من ناحية الوطن والأرض ومسقط الرأس، ومن ناحية أخرى الثروة الباطنية التي تزخر بها الأرض، وجعل بن نبي عنصر الوقت أو الزمن كعنصر ثالث من عناصر الحضارة، واعتبر أن الفاعل في هذه الثلاثية "الفكرة الدينية".

وعليه، فان الحضارة عند بن نبي تقوم على عناصر الانسان والتراب والزمن، وهذه العناصر الثلاث تتفاعل فيما بينها بفعل الشرارة التي تحدثها الفكرة الدينية، وتتحقق في واقع تاريخي يقضي وجود شبكة من العلاقات الاجتماعية.

ج. مفهوم الحضارة عند ويل ديورنت (1885-1981):

ويل ديورنت فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب "قصة الحضارة"، ويري ويل ديورانت أن الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الأنسان على الزيادة في انتاجه الثقافي، وهي تبدأ من حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمّن الانسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافر الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه الى فهم الحياة وازدهارها.

د. مفهوم الحضارة عند أوزوالد سبنجلر(1880-1936):

سبنجلر مؤرخ وفيلسوف ألماني، من أهم مؤلفاته "انحدار الغرب"، وينظر للحضارة على أنها تمر بنفس الأطوار التي يمر بها الانسان، فتولد الحضارة من مرحلة الطفولة، ثم تزدهر في مرحلة الشباب وتكتمل في مرحلة الرجولة، وتزول في مرحلة الشيخوخة بقوله:" إن كل حضارة تمر بمراحل العمر ذاتها التي يمر بها الفرد، فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها، فنظرة سبنجلر حول الحضارة في أن بدايتها تولد من التراب، ويستشهد بذلك أن من التراب قامت وازدهرت حضارات قوية، وبهذا يربط الحضارة ودورتها الحضارية بالتراب، ويتفق سبنجلر مع نظرية ابن خلدون في حتمية زوال الحضارات فهي تقع في دائرة مغلقة، بمعنى أن الحضارة كائن بيولوجي يولد ويموت وينتهي دون عودة، وزوال الحضارات يعني نشأة حضارات أخرى لا ترتبط بتلك التي زالت واندثرت، بحسب رؤيته أن لكل حضارة ثقافة جديدة ودورة حضارية جديدة.

هـ. مفهوم الحضارة عند أرنولد توينبي (1889-1975):

أرنولد توينبي انجليزي الأصل، من أشهر المؤرخين في القرن العشرين، بحث كثيرا في مسألة الحضارات ومن أشهر أعماله موسوعته التاريخية "دراسة التاريخ"، يرى توينبي أن الحضارة تنشأ في ظروف صعبة، تخلق للإنسان تحديا (Challenge) ، هذا التحدي يسفر عن استجابة تتفاوت حسب الأحوال، أما عن ارتقاء الحضارة فيرى توينبي أنه لا بغزو الخارج ولا بتقدم تكنولوجي مادي في الداخل، إنما هو يتم وفق عملية يدعوها بالتسامي، وهي عملية روحانية أكثر منها مادية، ويذهب توينبي الى

أن الحضارة تدخل في دور الانحلال اذا أخفقت الطاقة الإبداعية عند الأقلية المبدعة، ويكف المجتمع في الوقت ذاته عن محاكاتها.

و. مفهوم الحضارة عند حسن مؤنس(1911-1996):

حسن مؤنس مؤرخ مصري، ولد بالسويس وتلقى تعليمه الجامعي بجامعة القاهرة، وتحصل على شهادة الدكتوراه بجامعة "زيوريخ" بسويسرا، يعتبر من أعلام النهضة الفكرية والأدبية، نشر عدة مؤلفات من بينها" الحضارة"، عرف حسن مؤنس الحضارة بأنها هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية.

يتبين مما سبق أن الرؤية الاسلامية تتفق مع الرؤية الغربية في بعض النقاط، بينما تختلف في أخرى، فقد اتفقت رؤية الغرب مع الرؤية الإسلامية في أن عامل المجتمع والروابط الاجتماعية من أهم العوامل في نشأة وقيام الحضارات وبقائها، فالدول تنشأ وتسقط، لكن تبقى المجتمعات محتفظة بحضاراتها. جعل أصحاب الرؤية الإسلامية الالتزام بتعاليم الدين واجتناب نواهيه من أهم أسباب قيام الحضارات، والفراغ الروحي يؤدي الى الانحلال وزوال الحضارة، أما في التصور الغربي فالدين لا يعد جزءا أساسيا، فهم يجعلونه عنصر من عناصر الثقافة وليس الحضارة.

2. مفهوم الثقافة:

اختلف معنى الثقافة وتطور كثيرا منذ عرفه الانسان، فان أول من استعمل اللفظ هم الألمان فقالوا (Kultur) وقالوا أنها هي الحضارة، واستعملوها في هذا المعنى زمنا طويلا، وقد أخذوا اللفظ من اللاتينية، ويراد بها أصلا اصلاح الشيء وتهذيبه واعداده للاستعمال، ومن هنا قالوا Agri- culture، أي اصلاح الأرض وزراعتها، واستعملت في الأدب اللاتيني المسيحي في معنى تهذيب في الروح Cultura Animi وفي معنى التهذيب الرباني Cultura Dei، ويعرف شيشرون الحضارة بأنها تهذيب العقل، وربما استعمل اللفظ في معنى العبادة أي عبادة الله بتهذيب الفعل وترويضه.

الثقافة اصطلاحا هي الرّقي في الأفكار النظرية والعقلية فقط، وهذا يشمل الرقي في القانون والسياسة والتاريخ وكذلك الأخلاق والسلوكيات وسائر الأمور النظرية والفكرية، ويجب أن نفرق بين الحضارة والثقافة، حيث أن الثقافة هي الجانب المعنوي –الروحي والعلمي–النظري من الحضارة التي تشمل الجانبين المادي والمعنوي معاً، وعليه فالعلاقة بين الكلمتين ليست علاقة ترادف، وانما علاقة شامل ومشمول، بحيث نجد كلمة حضارة تشمل كلمة ثقافة والعكس غير صحيح.

3. **عوامل قيام الحضارة:**

هناك عوامل كثيرة لقيام أي حضارة من الحضارات، وقد تختلف بين العرب والغرب في بعض منها نتيجة الاختلافات الفكرية والعقائدية، لكنها تتفق في عوامل جوهرية لا يمكن لأي حضارة أن تقوم بدونها، نذكر منها ما يلي:

أ- العامل البشري، وهو العامل الأساسي لقيام الحضارة وتطورها، من خلال الاكتشافات والابتكارات التي توصل اليها الانسان.

ب-الدين أو العقيدة، التي هي من أهم العوامل التي تؤدي الى قيام الحضارة، فكما أشار اليه مالك بن نبي أن الانسان والتراب والوقت لا يمكنها أن تحدث أثرا، ولا أن تجلب للبشرية تحضرا الا بوجود العقيدة.

ج-العوامل الطبيعية والبيئية التي يمكن تلخيصها في الموقع الجغرافي وسهولة الاتصال بالمناطق المجاورة، وخصوبة التربة الزراعية، ووفرة الموارد المائية كالأنهار والبحار وكذلك ملائمة المناخ، مما يساعد على بذل النشاط البشري والابتكار.

د-العوامل الاقتصادية التي تعد احدى الأسس الرئيسية لقيام الحضارات كالاقتصاد الزراعي والتحكم في تقنيات الري، وتطور المنتوج الصناعي الذي يفتح فرص للعمل، ويساهم في توفير حاجيات السكان وتصدير الفائض نحو الخارج، وهذا بدوره يعمل على انتعاش التجارة والتعامل مع الدول، ويسهل عملية الاحتكاك الثقافي بين الحضارات المختلفة.

هـ-العدالة الاجتماعية، التي تعزز مبدأ المساواة وتكافئ الفرص، وبالتالي استقرار المجتمع.

4. **عوامل انهيار الحضارة:** يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ. الانحلال الخلقي والفساد الاداري.

ب. تراجع الابداع والابتكار.

ج. الظلم الاجتماعي وسوء العلاقة بين الحاكم ورعيته.

د. الانشقاق وضياع الوحدة في كيان المجتمع.

هـ. الغزو والاحتلال الأجنبي.

المحاضرة رقم 02: الإطار الزمني والمكاني لظهور الحضارات

تمهيد

أولا. الإطار الزمني لظهور الحضارات:

1. عصور ما قبل التاريخ
2. العصور التاريخية
3. فوائد دراسة التاريخ

ثانيا. الإطار المكاني لظهور الحضارات

1. الشرق الأدنى القديم
2. أوروبا
3. شمال افريقيا

تمهيد:

قسم الباحثون تاريخ البشرية إلى قسمين، اصطلح على الأول باسم عصور ما قبل التاريخ والثاني باسم العصور التاريخية، وقد جعلوا من تاريخ ابتكار الكتابة في حوالي 3500 قبل الميلاد حدا فاصلا بينهما، في حين رجحت مصادر مختلفة نهاية فترة ما قبل التاريخ، مع بداية الكتابة أو النقش، ما بين 5000 و3500 قبل الميلاد، كون الكتابة لم تبدأ بين الناس في وقت واحد.

أولا. الإطار الزمني لظهور الحضارات:

1. عصور ما قبل التاريخ:

تمتد هذه العصور من ظهور الإنسان إلى اختراع الكتابة، وبعض المصادر تُرجح بدايتها إلى حوالي ثلاثة ملايين سنة تُعرف عصور ما قبل التاريخ عمومًا على أنها الفترة التي لم يترك فيها الإنسان آثارًا مكتوبة، لذلك بدأت بظهور الإنسان (منذ حوالي 3 ملايين سنة)، وانتهت مع بدايات الكتابة أو النقش، أي ما بين 5000 و3500 قبل الميلاد، وتمّ تقسيم عصور ما قبل التاريخ إلى:

1.1.العصر الحجري القديم: يُمثل الفترة الأولى من عصور ما قبل التاريخ، وهي الأطول. تبدأ بظهور الإنسان وتنتهي في حدود 12000 عام. كان الإنسان بدويًا، يعيش على الموارد التي توفرها بيئته عن طريق الصيد والجمع، عُرَّف بـ"صياد–جامع"**(chasseur–cueilleur)**. وقُسم بدوره إلى مراحل وهي:

–العصر الحجري القديم الأسفل (Le paléolithique inferieur):

في هذا العصر كان الإنسان يصطاد الحيوانات الصغيرة فقط (الطيور الجريحة، الثعالب، القوارض، إلخ). يقطع لحم فريسته بحجر مقطوع يسمى حجر ذات الوجهين (biface).

- **العصر الحجري القديم الأوسط(Le paléolithique moyen)** : طور الإنسان أسلحة صيد حجرية تُعرف باسم "حجر الصوان"(Pierre à éclat).
- **العصر الحجري القديم الأعلى(Le paléolithique supérieur)** : كان بإمكان الإنسان اصطياد الحيوانات الكبيرة جدًا (الماموث، الظباء، الرنة، إلخ) عن طريق صنع الرماح بنهاية حجرية حادة جدًا تسمى "الحجر النصل"(Pierre à lame).

2.1.العصر الحجري الوسيط(Le mésolithique) : يعني" منتصف العصر الحجري"، ويتوافق مع فترة التغيرات البيئية الكبيرة بين العصر الحجري القديم (عصر الحجر الملبس) والعصر الحجري الحديث (عصر الحجر المصقول). طور الإنسان أسلحة صيد حجرية تُعرف باسم "حجر الصوان".

3.1.العصر الحجري الحديث: يُطلق على هذا العصر أيضًا اسم "عصر الحجر المصقول"، في إشارة إلى الحجارة المصقولة الأولى (اللامعة والناعمة) التي صنعها الإنسان. تمتد هذه الفترة ما بين حوالي 10000 قبل الميلاد إلى 3500 قبل الميلاد. تبدأ بظهور الزراعة وتربية الحيوانات، حيث استقر الإنسان وأسس القرى الأولى. وبالتالي فإن هذه الفترة تُمثل مرحلة انتقال من اقتصاد قائم على الصيد والجمع إلى اقتصاد قائم على الزراعة وتربية الحيوانات الأليفة.

بدأ الناس في تدجين الحيوانات مثل الأغنام والماعز والخنازير، وفي زراعة الحبوب مثل القمح والشعير، ظهور الحرف اليدوية كصناعة الفخار والنسيج (صناعة الملابس) وحتى الحبال. وطوّر البعض فن تلميع بعض الأحجار مثل الأحجار المصقولة التي يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث.

على الرغم من أن الجماعات البشرية لم تبدأ الزراعة والرعي في كل مكان في نفس الوقت، إلا أن الجميع متفق على أن بداية فترة العصر الحجري الحديث كانت في الشرق الأدنى، حيث تشكلت أولى الدول في منطقة تسمى الهلال الخصيب، إذ كانت هذه المنطقة مناسبة لإنشاء القرى الأولى نظرًا لإمكانياتها الزراعية. ويقع الهلال الخصيب في المنطقة التي تُعرف الآن باسم الشرق الأوسط، يشمل أجزاء من مصر، فلسطين المحتلة، الأردن، لبنان، سوريا، تركيا، إيران، العراق. يبدو على الخريطة مثل الهلال وربع قمر، يمتد من نهر النيل في شبه جزيرة سيناء المصرية في الجنوب إلى الحافة الجنوبية لتركيا في الشمال، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق الخليج العربي، ويتدفق نهري الدجلة والفرات عبر وسط الهلال الخصيب.

لقد اختار الإنسان أرضًا للاستقرار فيها ويعود الفضل في حد كبير إلى الزراعة، التي تتطلب من الناس البقاء عدة أشهر في مكان واحد لحصاد الحبوب، حيث اختارت المجموعات البشرية موطنًا ثابتًا. ثم اختارت هذه المجموعات بناء ملاجئ أكثر استدامة. حددت هذه الإنشاءات المستدامة جزئيًا أسلوب حياتهم المستقرة، أي امتلاك موطن ثابت، ولم يعد يتعين عليهم السفر للبحث على الطعام.

2. العصور التاريخية:

يتّفق الباحثون على أنّ بداية العصور التاريخية كانت مع اختراع الكتابة، وما زالت مستمرة إلى يومنا هذا. ورغم أنّ الإنسان عاش على الأرض قبل اختراع الكتابة بزمنٍ طويلٍ جدّاً، إلا أنَّ اختراع أول نظام للكتابة جعل تدوين الأحداث التاريخيّة مُمكناً وحِفظَها للأجيال القادمة.

تختلف تواريخ العصور التاريخية حسب المصادر، ويرجع بشكل أساسي إلى التفسيرات المختلفة للمؤرخين. وعلى سبيل المثال، يعتبر البعض أن العصر الوسيط انتهى بسقوط غرناطة عاصمة المسلمين في الأندلس عام 1492م، وهي أيضا، سنة اكتشاف كريستوفر كولومبوس لأمريكا، وآخرون يحددونه بعام 1453م، وهي سنة سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في الشرق. وتنقسم هذه الفترة إلى أربعة مراحل هي:

2-1. العصر القديم: بدأ مع اختراع الكتابة أو النقش حوالي 3500 قبل الميلاد، وانتهى عام 476م، سنة سقوط روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية بالنسبة للغرب(أوروبا)، وهناك من يُحدد نهايته عام 622م، سنة بداية التقويم الهجري.

2-2.العصر الوسيط: تمتد فترة العصر الوسيط من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي. بدأت في أعقاب سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية عام 476م، وامتدت إلى سقوط غرناطة عاصمة المسلمين في الأندلس عام1492 م، وهي سنة اكتشاف كريستوفر كولومبوس لأمريكا، وآخرون حددوا نهايتها عام 1453م، سنة سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في الشرق.

2-3.العصر الحديث: بدأ مع فتح القسطنطينية عام 1453م من طرف العثمانيين، وسقوط غرناطة عاصمة المسلمين في الأندلس، واكتشاف قارة أمريكا، واستمر إلى غاية القرن الثامن عشر للميلاد المعروف بـ"عصر التنوير"، إذ كان مسرحًا لقيام ثورات شعبية، منها الثورة الفرنسية عام 1789م، والتي كانت بمثابة معلم تاريخي لنهاية العصر الحديث.

2-4.الفترة المعاصرة: بدأ العصر المعاصر في عام 1789م ومُستمر إلى يومنا هذا. عرف هذا العصر بداية الثورة الصناعية. وظهرت لأول مرة في بريطانيا العظمى، حيث أحدثت تغييرا كبيرا في المجتمع، وأدت إلى ظهور النقابات العمالية، وكذلك الحركات الاجتماعية والسياسية مثل الاشتراكية. وشهد القرن التاسع عشر توسعًا كبيرا في العالم الصناعي، واستعمرت القوى الأوروبية مناطق جديدة في آسيا وأفريقيا. وكانت هذه القوى في حالة تنافس كبير واحتكاك لدرجة قيام حروب بينها، بما فيها الحربين العالميتين.

3-فوائد دراسة التاريخ: يمكن تلخيصها فيما يلي:

-إدراك الحوادث الماضية كما حدثت بكل تفاصيلها.

- معرفة الأخطاء التي ارتكبت في الماضي وما نجم عنها لتفاديها.

-التعرف على الإنجازات الكبرى التي حققها الإنسان وآثارها في رقي الأمم وازدهارها.

-يُمكننا التاريخ من ربط الماضي بالحاضر والمقارنة بينهما لنرى ما حققناه من تقدم ورقي.

- الاعتزاز بالقومية الوطنية، لأن دراستنا لتاريخ أمتنا يخلق فينا حتما روح الافتخار لحضارة أجدادنا وما حققوه في مختلف المجالات.

ثانيا. الإطار المكاني لظهور الحضارات:

العالم القديم مصطلح تاريخي جغرافي يشمل المناطق الجغرافية التي شهدت قيام وازدهار الحضارات القديمة، وتتكون جغرافيا من غربي آسيا وجنوب أوروبا وشمال إفريقيا وهي كالآتي:

1- الشرق الأدنى القديم: وهي المنطقة الجغرافية ذات التركيز الحضاري الكبير في العصر القديم، تمتد من غرب إيران شرقا إلى غرب نهر النيل في مصر القديمة، وتمتد من جبال أرمينية والأناضول وطوروس في الشمال والشمال الغربي وصولا إلى اليمين السعيد ومنطقة القرن الأفريقي، وتضم الأقاليم الجغرافية الآتية: فارس، بلاد ما بين النهرين، مصر القديمة، سوريا القديمة، فينيقيا، شبه الجزيرة العربية، الحبشة، اليمن، الأناضول، قامت حضارات عديدة منها: بلاد الرافدين (السومرية والأكادية، البابلية والأشورية والكلدانية)، الفرعونية، الفينيقية، الحثية ، اليمينية، السبئية ، وحضارة أكسوم بالحبشة، وغيرها.

2- جنوب أوروبا: وتشكل مختلف الحضارات التي ظهرت وازدهرت خاصة في المناطق الجنوبية الغربية من أوروبا، وتمتد حدودها من سواحل غرب آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة شرقا حتى غرب شبه الجزيرة الإيطالية ومن مرتفعات الوسط الأوروبي شمالا حتى الجزر المتوسطية في الجنوب (رودس، كريت، صقلية، كورسيكا...) شهدت قيام حضارات متفوقة كالإغريقية والرومانية والبيزنطية.

3-شمال إفريقيا: يقصد بها المناطق الواقعة من حدود مصر غربا الى المحيط الأطلسي شرقا، نشأت وتطورت في هذه الرقعة الجغرافية الحضارة الأمازيغية القديمة (الليبية-النوميدية) والحضارة القرطاجية.

الحضارات الكبرى في الشرق والعالم المتوسّطي في العصر القديم

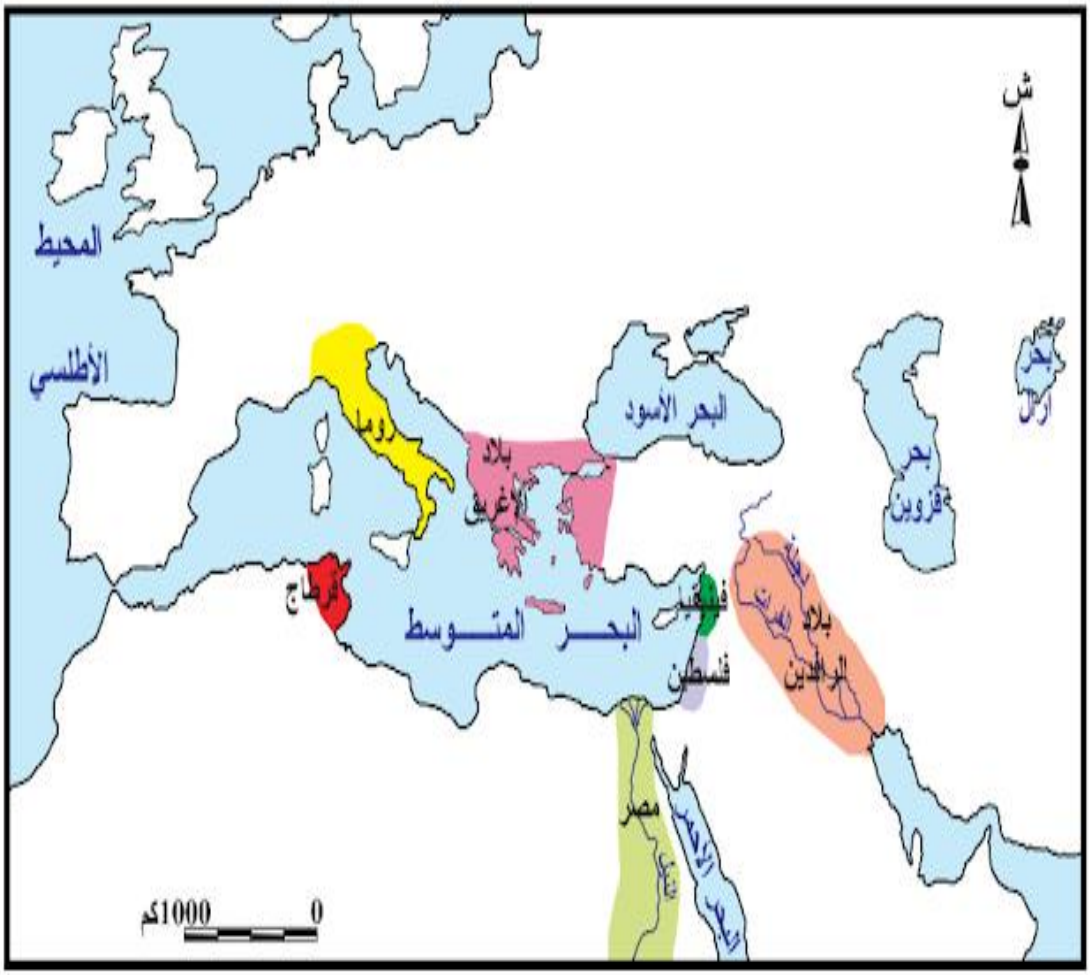

المحاضرة رقم 03: حضارات غرب جنوب أسيا ومصر

تمهيد

أولا. حضارات غرب جنوب أسيا:

1. حضارة عيلام
2. حضارة سومر

ثانيا. حضارة مصر:

1. حضارة مصر في مرحلة ما قبل التاريخ
2. حضارة مصر في مرحلة فجر التاريخ
3. حضارة مصر قبل عهد الأسرات (قبل توحيد المملكتين)

تمهيد:

الحضارة في مفهوم حسن مؤنس مثلما أشرنا اليه في المحاضرة الأولى، هي كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية، فكل ما جاءت به الحضارة الإنسانية من إبداعات خلاقة إلى يومنا الحاضر تعود إلى العمل الدؤوب والمستمر الذي مارسه الإنسان، فكل ما أنتجه منذ أقدم العصور ولحد الآن هو ما تتطلبه الحاجة إليه، فأدوات العمل، والرسومات، والنصب، والتعاويذ، والتراتيل، لا بل كل ماله علاقة بحياته كانت وسيلة لصراع الإنسان مع الطبيعة ومن أجل الحياة، وكل ما حصل عليه من قيم حضارية ومكتشفات، جاءت من خلال مواصلته للعمل الذي خلفه سلفه، ولولا هذا العمل لما استطاع الإنسان أن يصل إلى المستوى الذي وصل إليه اليوم.

أولا. حضارات جنوب غرب أسيا:

1. حضارة عيلام:

1.1. الموقع الجغرافي:

من الصعب تحديد الرقعة الجغرافية التي تشغلها بلاد عيلام في العصور القديمة، ذلك أن حدودها كانت خاضعة للتغيير المستمر بحسب تغير موازين القوى السياسية في المنطقة، الا أنه يمكن القول بأن بلاد عيلام امتدت في أوج توسعها من "كرمنشاة" في الشمال الغربي الى طريق "خراسان" الكبير القادم من بغداد في الشمال، وتمثل سلسلة جبال زاكروس الحدود الشمالية – الشرقية لبلاد عيلام، وفي الجنوب بشكل الساحل الشرقي للخليج العربي حدودا لعيلام، في حين أن مرتفعات "بختياري" تشكل الحدود الشرقية لها. أما من الجهة الغربية، فقد كانت الحدود هي الأكثر تغييرا، حيث أن الثقل السياسي للدولة في بلاد الرافدين كان هو الرئيسي في تحديد امتداد بلاد عيلام أو تقلصها وتراجعها أحيانا الى المرتفعات الشرقية. ولقد قامت بلاد عيلام على اتحاد عدة مراكز أبرزه المراكز الثلاثة المهمة هي: سوس، وأنشان وشيماشكي.

2.1. سكان بلاد عيلام:

كانت بلاد عيلام مفتوحة على مر العصور لمجيء موجات أو مجاميع كبيرة من السكان ممن كانوا يجوبون الشرق الأدنى القديم، اختلفت الأراء حول أصلهم، فهناك من العلماء من يرجحون وجود صلة لهم مع الأقوام الجبلية القديمة في المناطق الممتدة الى الشمال، وشمال شرق عيلام ومنهم اللولوبيون والكوتيون والكاشيون، ويستند هؤلاء الباحثون في إثبات أرائهم تلك على الصلة ما بين لغات

تلك الأقوام واللغة العيلامية، ولاسيما أسماء الأعلام، وعلى الرغم من الغموض الدي يكتنف أصل العيلاميين، الا أنه يمكن القول أنهم لم يكونوا من الأقوام الإيرانية التي فرت الى بلاد فارس في مطلع الألف الأول قبل البلاد من ضمنها الميديون والفرس، ولعل أصلهم من المنطقة الجبلية من جبال زاكروس، وهي منطقة تتاخم سهول عيلام في الشمال الشرقي، وكذلك في سهول وادي الرافدين.

3.1 البدايات الأولى لبلاد عيلام:

يعود عهد عيلام إلى عشرين ألف سنة، حيث أكتشف باحثون فرنسيون آثارا بشرية وشواهد تدل على قيام ثقافة راقية تعود إلى 4500 سنة ق. م، واستخدموا في تلك الفترة أدوات وأسلحة مصنوعة من النحاس بالإضافة إلى مزهريات مزينة بصور النبات والحيوان، كما كانت لهم كتابة مقدسة ووثائق تجارية استعملت في حياتهم اليومية.

4.1.تطور بلاد عيلام:

عرف أهل عيلام حياة السلطان والغزو بعد انتقالهم من البدايات المعقدة، فامتلكوا سومر وبابل ودارت عليهم الدائرة فاستولت عليهم هاتان الدولتان تباعا، وعاشت مدينة السوس ستة آلاف سنة شهدت خلالها بروز إمبراطوريات سومر، مصر، وآشور، وفارس، واليونان، وروما، وظلت باسم شوشان مدينة مزدهرة حتى القرن الرابع عشر ميلادي، ولعل الآثار الباقية شاهدة على تطورهم مثل المجوهرات الملكية والثياب الثمينة والأثاث الفخم، والمركبات التي جالت أنحاء المدينة في ذلك العهد.

2. حضارة سومر:

1.2. الموقع الجغرافي لبلاد سومر:

تقع بلاد سومر في الوادي الأسفل لنهري الدجلة والفرات، والى جنوبها وغربها تقع الصحراء العربية والخليج العربي، ولم يكن هناك فاصل طبيعي بين سومر وأكاد، فقد كان النصف الشمالي الشرقي اسم أكاد، وكان القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج العربي يعرف باسم سومر، وطبقا للنصوص، فان مدينة "لجش" و"أورك" و"أور" و"لارسا" و"أوما" وايسين" و"أريدو" كانت ضمن أرض سومر، أما مدينة "نيبور" فكانت تقع بين سومر وأكاد، وشغلت مكانا فريدا كمركز ديني متوسط.

2.2. أصل السومريين:

لقد اختلف المؤرخون في تحديد أصل السومريين، ومازال الاشكال قائما بين العلماء حول هذا الموضوع، حتى أصبحت تسمى باسم "المسألة السومرية"، وتقوم الدراسات في هذا الصدد على أساس

لغوي وبشري، فمن الناحية اللغوية لا تنتمي اللغة السومرية الى احدى العائلات اللغوية الثلاث وهي السامية والحامية والهندية الأوروبية، كما ثبت حسب المؤرخ أحمد أمين سليم عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى مثل الصينية، والتبتية، والدرافيلية، والمجرية، والافريقية، والهندية الأمريكية، ولغات جزر المحيط الأطلسي.

قدم العلماء العديد من الافتراضات بشأن أصل السومريين، فهناك من المؤرخين من يرى أنهم انحدروا من الأقوام التي سكنت العراق في عصور ما قبل التاريخ وهي العصور التي سبقت عصر فجر السلالات، وأنهم عرفوا باسم السومريين في الأزمنة التاريخية نسبة الى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه، وهو القسم الجنوبي الذي سمي باسم "شومر" أو "سومر"، ومنهم من يرى أنهم جاءوا من المرتفعات التي في شرق بلاد النهرين أو شمالها الشرقي، عن طريق أرمينيا وإيران.

3.2. بداية استقرار السومريين جنوب العراق:

تعددت كذلك وجهات نظر الباحثين حول تاريخ دخول العناصر السومرية، واستقرارها في جنوب العراق، ويتجه بعض الباحثين بخصوص هذا الأمر الى الاعتقاد بأن دخول السومريين كان عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، وذلك مع ظهور الكتابة في جنوب العراق، ويعتقد صمويل كرامل أن هذه الهجرة قد سبقت ظهور الكتابة مباشرة، الا أن الكتابة التصويرية البدائية قد نشأت في جنوب العراق بعد التطور الحضاري الذي ظهر في المنطقة، ولما كانت هذه الكتابة الأولى تُعبر عن اللغة السومرية فيُفترض أن أصحابها قد أتوا الى البلاد منذ زمن بعيد يُقدر بعشرات وربما مئات السنين.

يتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن السومريين كانوا أول من سكن جنوب العراق، ويعتمدون في ذلك على التشابه الحضاري بين حضارة العبيد، والمراحل السابقة لها، والتي تمثلها حضارة أريدو والحاج محمد، ويتجه رأي ثالث الى الاعتقاد بأن هذه الهجرة قد حدثت في عصر حضارة العبيد، وذلك ما بين 4000 و3500 ق.م. ويؤكد الدكتور فوزي رشيد أن السومريين لم يكونوا مهاجرين من خارج العراق، بل هم قوم نزحوا من أقسامه الشمالية، نتيجة لازدياد عدد السكان، مما دفعهم الى البحث عن أراضي جديدة، ويقول أن السومريين من سكان القسم الجنوبي من العراق وليس شعبا مهاجرا، إنهم من نفس الأصل الذي يعود الى عصر الوركاء الأول وحضارة العبيد.

ازدادت سعة وأناقة وزخرفة المعابد في مرحلة فجر التاريخ، وظهرت أوائل المعابد العالية، أي الزقورات، كما نشير في ذلك الى المعابد المقامة على أكثر من مصطبة واحدة مما اكتُشف في "الوركاء"

و"العقير"، كما عرفت هذه المرحلة ظهور الأختام الأسطوانية في الطبقة الخامسة من الوركاء. وظهر أيضا لأول مرة استعمال دولاب الخزاف لصنع الأواني الفخارية، واحتمال استعمال عجلة العربة.

تقدم كذلك فن التعدين بشكل كبير، وانتشر استعمال المعادن، وتطورت القرى الكبيرة من العهود السابقة، فصارت أوائل المدن نواة لظهور التمدن والحياة الحضرية، ونظام مدينة الدولة.

ثانيا. حضارة مصر:

1. حضارة مصر في مرحلة ما قبل التاريخ:

بدأ استيطان الانسان الأول في وادي النيل منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، ولقد كانت الظروف المناخية تختلف تمام الاختلاف عما هي عليه الأن، فقد كانت افريقيا ومعظم أجزاء الشرق الأدنى القاحلة الأن، تتمتع بأمطار كثيرة غزيرة، وكان الانسان يعيش حياة بدائية يعتمد أساسا على الصيد والقطف للحصول على قوته، وعلى الحجارة في صنع أدواته، وقد عثر في وادي النيل على فؤوس يدوية حجرية من الدور المعروف باسم الدور " الشيلي".

بدأ الانسان في الاستقرار وممارسة الزراعة (الحنطة والشعير) في مرحلة العصر الحجري الحديث، واستعمل رحى من الحجر البسيطة لطحن الحبوب واستأنس الحيوان، كما ظهرت في هذه المرحلة بعض الصناعات الفخارية، لكنها كانت خشنة الصنع، عثر خلال هذه المرحلة كذلك على بعض أدوات الزينة مثل الحرز والمحار والأصداف.

2. حضارة مصر في مرحلة فجر التاريخ:

هي مرحلة تمهيدية لظهور الحضارة الناضجة، وأهم ما ميز هذه المرحلة توطد الحياة المستقرة، واتساع الزراعة والقرى، واكتشف الانسان التعدين، فصنع أدوات معدنية ولاسيما النحاسية، وظهرت طلائع القرى والوحدات السياسية والتي اتحدت بعدئذ وكونت مملكة القطر في العهود التالية.

لقد عثر المنقبون في وادي النيل على أثار قرى متعددة تمثل أدوار هذا العهد، حيث يميز كل دور بأثاره الممثلة وأشكال أوانيه الفخارية وأطرزة زخرفتها، وقد سُميت هذه الأدوار كما في بلاد الرافدين بالأسماء الحديثة للمواقع التي نقب فيها أول مرة، ووجدت فيها الأثار المميزة لكل دور.

تعرف أقدم أدوار هذا العهد باسم الطور "البيداري" لأن أثاره وجدت لأول مرة في مواضع ومقابر قرب الموضع المسمى "باداري" في مصر الوسطى، ويمكن اعتبار هذا الدور تطورا من العصر الحجري الحديث، ولاسيما الطور "الطاسي"، ووجدت أثاره أيضا منتشرة في بقاع متعددة من مصر العليا.

يشير المتخصصون كذلك الى أن ما ميز هذا الدور كثرة الموارد المستوردة عن طريق التجارة الخارجية، ولاسيما من جهات طور سيناء والنوبة ولعله من سوريا. ونجد لأول مرة أيضا أن سكان

وادي النيل عرفوا معدن النحاس، لكنها كانت معرفة بدائية أولية، ونلاحظ كذلك تقدما محسوسا في صناعة الأواني الفخارية، ولاسيما الأواني المودعة في القبور مع الموتى.

استمر التطور الحضاري في طريقه بعد عهد البداري، فزاد المصريون استخدامهم للنحاس، وارتقوا رقيا نسبيا بمساكنهم وبزخارف فخارهم، ومارسوا فن النقش، كما ارتقوا بصناعة الخناجر والأسلحة، وتركزت أهم أثار هذه المرحلة في المنطقة المحيطة "بنقادة" بمحافظة "قنا" بالصعيد، وبدأت هذه المنطقة نشاطها الحضاري بطابع محلي خاص بها خلال عهد يسمى اصطلاحا باسم عهد "نقادة الأول"، ثم اشتركت بهذا النشاط المحلي في نشاط حضاري أخر واسع شملها هي وأغلب مناطق الصعيد والدلتا في عهد يسمى اصطلاحا باسم عهد "نقادة الثاني".

3. حضارة مصر قبل عهد الأسرات (قبل توحيد المملكتين):

كان المصريون قبل عهد الأسرات مثلما أشرنا اليه سابقا على شكل قبائل متفرقة متنقلة، اعتمدوا في بادئ الأمر على الصيد والقطف، ولما عرف أفرادها الزراعة واستقروا على ضفاف النيل، انضمت القبائل بعضها البعض وتكونت منها امارات أو دويلات صغيرة مستقلة، وقد كان عدد هذه الامارات متساويا تقريبا، ففي الشمال 20 وفي الجنوب 22 امارة، ثم توحدت تلك الامارات وكونت مملكتين، مملكة الشمال وعاصمتها "منفيس" والهها "حورس" الذي يمثل في نظرهم النور المنبعث من نجوم السماء، ومملكة الجنوب وعاصمتها "طيبة" والهها "ست" ويمثل الظلام والهلاك.

لم تتوقف الحروب في مصر بعد ظهور المملكتين، بل استمرت بينهما الى أن تمكن "مينا نعرمر" أخر ملوك مملكة الشمال من توحيد المملكتين تحت قيادته سنة 3200 ق.م، ويعتبر المؤرخون ظهور المملكة المصرية الموحدة بزعامة "مينا"، بداية العصر التاريخي وفاتحة قيام الأسر التي حكمت مصر طيلة قرون عديدة، بلغ عددها حوالي31 أسرة، أعقبها عصر البطالمة ثم الاحتلال الروماني والبيزنطي، وانتهى الأمر بالفتح الاسلامي عام 641م.

المحاضرة رقم 04: المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة

تمهيد

أولا. المصادر المادية:

1. تعريفها
2. أمثلة عن المصادر المادية

ثانيا. المصادر الأدبية:

1. تعريفها
2. أمثلة عن المصادر الأدبية

تمهيد:

تختلف مصادر دراسة الحضارات القديمة حسب أهميتها ونوعها ومضمونها، وعلى هذا الأساس قسمت الى نوعين وهما:

أولا. المصادر المادية:

1. تعريفها:

المصادر المادية هي كل ما خلّفه الانسان من مواد وأدوات ومباني وبقايا عضوية تعكس نشاطاته اليومية، وحياته الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية، وتعد هذه المصادر أدوات رئيسية يستخدمها علماء الأثار لفهم وتفسير تطور المجتمعات البشرية عبر التاريخ، ومن خلال تحليل هذه المخلفات يمكن للباحثين إعادة بناء الأحداث التاريخية وتقديم رؤى عميقة حول الحضارات السابقة.

2. أمثلة عن المصادر المادية:

*-**الفخار**: اهتم الإنسان بالفخار منذ العصور الحجرية، لذلك فهي تحتوي على رصيد هام من المعلومات التاريخية التي يقوم الباحث الأثري بفرزها وجردها وتقديم المعطيات الخاصة بها.

* **الأدوات المعدنية والحلي:** ظهرت مع تطور التعدين وتشمل الأسلحة والأدوات الزراعية والمنزلية، ويتمثل الحلي في الأقراط والقلادات والحلقات والأساور والعقود، صنعت من معادن مختلفة مثل: الذهب، الفضة، البرونز وغيرها، وبالإضافة إلى دورها في التزيين، تتضمن الحلي معلومات هامة متعلقة بالجوانب الحضارية المختلفة من حياة الإنسان.

*-**المسلات والتماثيل واللوحات:** خلفت الحضارات القديمة نماذج كثيرة من المسلات والتماثيل لأبرز الشخصيات التاريخية، وكذلك لوحات فنية رائعة، تشهد على التطور الذي بلغته بعض الحضارات القديمة، ونشير عل سبيل المثال الى مسلة شريعة حمورابي وتمثال الملك المصري رمسيس الثاني، وتوجد أغلبية هذه الآثار في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر بباريس.

* **العملة (المسكوكات):** تعد النقود واحدة من أبرز المظاهر الحضارية عبر التاريخ لما تحمله على وجهها من معطيات تاريخية هامة، وكذلك معالم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدى الشعوب، ونظرا لأهميتها أصبح علم المسكوكات علما قائما بحد ذاته لدراسة الحضارات القديمة.

* **النقوش والأنصاب:** تعتبرا النقوش والكتابات بأنواعها من أهم المصادر التي ينبغي العودة إليها خاصة أنها المادة التاريخية التي تكاد أن تكون خالية من الافتراضات التاريخية والتأويلات الشخصية التي اعتمدها كثير من المؤرخين القدامى، أما بخصوص مضامين النقوش فهي عديدة ومتنوعة، فمنها

نقوش نذرية ونقوش جنائزية وأخرى مدنية، وهنا يمكن الإشارة الى الكتابة المسمارية عند السومايين والكتابة الهيروغليفية عند المصريين القدامى.

* **بقايا العمارة المدنية والجنائزية:** وتتمثل في المساكن وقصور الملوك التي تعكس أساليب العيش والتنظيم الاجتماعي وكذا تقنيات البناء التي توصلت اليها بعض الحضارات، وتشمل العمارة الجنائزية بدورها المدافن والقبور كالأهرامات والمعابد بمختلف أشكالها والتي تقدم معلومات عن الممارسات والطقوس الدينية ونظرة الانسان الى الحياة والموت.

ثانيا. المصادر الأدبية:

1. تعريفها:

تعتبر المصادر التاريخية القديمة بمثابة العمود الفقري للباحث في كل فترات ومجالات البحث، لأنها مصادر وثائقية عاصرت مجرى الأحداث. ورغم النقائص التي تميز هذه المصادر كالمبالغة والتحيز والذاتية، إلا أنها تبقى ذات أهمية كبيرة من حيث المعطيات التاريخية، فضلا عن كونها المصادر الأساسية التي تزودنا بمعلومات مهمة عن تاريخ الانسان وحضارته.

2. أمثلة عن المصادر الأدبية :

من أشهر هذه المصادر الأدبية نذكر النصوص التي نقلت أخبار الشعوب القديمة مثل تلك التي سجلت على الورق البردي التي تحمل في طياتها قوائم بأسماء الملوك والأحداث التي شاهدتها فترة حكم هؤلاء من بينها:

-حجر بالرمو الذي اكتشف في منف وهو محفوظ في متحف بالرمو بصقلية ورد فيها دكر تاريخ خمسة ملوك للأسرات الأولى.

-لوحة أبيدوس التي تتضمن قائمة 76 ملكا يبدأ بالملك مينا حتى سيتي الأول.

-لوحة الكرنك التي تحتوي على 62 ملكا.

-لوحة سقارة التي تشمل 58 ملكا.

-بردية تورين، عرفت بهذا الاسم نسبة الى موضع حفضها في إيطاليا التي ترجع في زمن تدوينها الى حدود 1300 قبل الميلاد، وهي عبارة عن قائمة لأكثر من ثلاثمائة اسم من أسماء الملوك الذين حكموا مصر حتى ملوك الأسرة 18 مع تحديد لمدة حكم كل واحد من هؤلاء الملوك.

– إثبات سلالات الملوك المصريين التي جمعها الكاهن المصري "مانيتون"، حيث ألفها باليونانية في عهد البطالمة في مصر، في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد قسم هذا الأخير فراعنة مصر والسلالات التي حكمت منذ أول سلالة الى نهاية التاريخ المصري الى 31 سلالة.

بالإضافة الى هذا، نجد كتابات الأجانب وتشمل المؤرخين والرحالة الاغريق والرومان، وياتي على رأس هؤلاء:

– **هوميروس (Homère)**: شاعر اغريقي شهير وهو كاتب الملحمتين : الإلياذة والأوديسة ، قام بتخليد حرب طروادة بدقة متناهية التي يعتقد حدوثها عام 1250ق.م.

– **هيكاتوس المليتي Hecataeus**: مؤرخ وجغرافي إغريقي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، زار مصر وأسيا الصغرى وسوريا وفارس، جمع مشاهداته وقصص عصره في مؤلفين "رحلة حول البحر" و "خريطة العالم".

– **هيرودوت Hérodotus**: مؤرخ ورحالة إغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، زار عدة مناطق من العالم القديم، مثل ليبيا ومصر وبابل وأسيا الصغرى، جمع خلال رحلاته الوثائق التي استعان بها لتحرير كتابه "التواريخ".

– **سترابون Strabo**: مؤرخ إغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، قام هو الأخر برحلات كثيرة، تتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافيا التاريخية، وينقسم مؤلفه "الجغرافيا" الى سبعة عشر جزء، وزع عليها أقاليم العالم ومن بينها بلاد ما بين النهرين ومصر، وتتميز كتاباته بالموضوعية والبعد عن العاطفة.

– **ديودور الصقلي Diodorus Siculus**: مؤرخ إغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ولد في "أجيرون" في جزيرة صقلية، صنف كتابا في تاريخ العالم بعنوان "المكتبة التاريخية"، في أربعين كتابا لم يصل منها كاملة سوى الأجزاء من 1 الى 2 ومن الجزء 11 إلى 22، تناول فيه تاريخ العالم منذ العصور الأسطورية وحتى عام 62 ق. م، خصص الأجزاء الثلاثة الأولى لدراسة مصر وبلاد ما بين النهرين والهند وبلاد العرب وإثيوبيا وشمال افريقيا.

– **بلينوس الأكبر Plinius**: كاتب ورحالة وجغرافي روماني عاش في القرن الأول للميلاد، تميز بكونه عالما موسوعيا، تناول في مؤلفاته العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم، ولم يبق من مؤلفاته البالغ عددها 122 مؤلفا سوى موسوعة "التاريخ الطبيعي"، التي تضم 37 كتابا، وتبحث في مختلف

الجوانب وتغطي موضوعاته علوم الفلك والتشريح والحيوان والنبات والجغرافيا والطب والمعادن وغيرها.

- **بلوتارخوس الخيروني (Plutarque):** مؤرخ وناقد يوناني كبير، يعتبر من أكبر مؤرخين السير والتراجم في العالم القديم. كتب " سير متوازية " وعمل فيه مقارنات بين الشخصيات، وقيل أنه زار مصر وكتب عن معتقداتها.

- بالإضافة الى ذلك يمكن الاشارة الى حوليات الحيثيين وأرشيف البابليين والأشوريين.

-**الكتب المقدسة** : وتتمثل في التوراة والقرآن الكريم.

أ- التوراة: تحدثت التوراة في العديد من أسفارها عن الكثير من الأحداث التي جرت في بلاد الرافدين ومصر، ومعظم المعلومات الواردة فيها منقولة من مصادر أقدم بقرون عديدة، وتتصف هذه الأخبار بالإيجاز أحيانا والبعد عن التحليل وذكر الأسباب الحقيقية أحيانا أخرى، لذا لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخي دون اخضاعها للنقد التاريخي والعلمي ومقارنة الأخبار الواردة فيها مع ما نقلته المصادر المادية.

ب- القرأن الكريم: هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المحفوظ في الصدور والمنقول إلينا بالتواتر تكفل الله تعالى بحفظه، ويقدم لنا القرآن الكريم معلومات هامة وصحيحة تماما عن عصور ما قبل الإسلام وأخبار دولها، أيدتها الكشوف الحديثة كل التأكيد، كقصة نوح عليه السلام.

المحاضرة رقم05: حضارة بلاد الرافدين (المراحل الكبرى)

تمهيد

أولا. أهم الدول التي ظهرت في بلاد الرافدين:

1. الدولة السومرية
2. الدولة الأكادية
3. الدولة البابلية (العصر البابلي القديم)
4. الدولة الأشورية
5. الدولة الكلدانية (العصر البابلي الأخير625-539 ق.م)

ثانيا. الحياة السياسية في بلاد الرافدين:

1. الملك
2. المهام الملكية
3. نظام الحكم

تمهيد:

نشأت حضارة بلاد الرافدين شمال شرق حوض البحر المتوسط على نهري الدجلة والفرات، فسميت باسم بلاد ما بين النهرين، تميزت هذه المنطقة بخصوبة التربة الناتجة عن فيضانات نهري الدجلة الفرات، وقد ازدهرت على هذه الأرض حضارات بارزة، منها السومرية والأكادية والبابلية والأشورية وغيرها، انتشر نفوذها إلى البلدان المجاورة.

أولا. أهم الدول التي ظهرت في بلاد الرافدين:

1. الدولة السومرية:

أشرنا في المحاضرات السابقة الى أن السومريين قوم غير ساميين، وتكاد تتفق المصادر على أن هؤلاء لم يأتوا من جهات بعيدة خارج البلاد، وإنما كانوا أحد الأقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الألف الخامس قبل الميلاد، أو بعد ذلك الزمن عندما أصبح هذا السهل صالحا للعيش، تعايش السومريون فيما بعد مع جماعات من أقوام أخرى جاءت واستوطنت السهل السومري وفي مقدمتهم الأقوام السامية، الأكاديون، البابليون الأشوريون...إلخ

يقوم التنظيم السياسي السومري على نظام حكومات أو دويلات المدن الذي يجعل لكل مدينة استقلالها الذاتي، قسمت في جداول وسجلات الكتبة السومريون إلى قسمين يفصلهما حادث هام هو " الطوفان "، وما قبل الطوفان هو العصر الأسطوري وما بعده هو العصر التاريخي، وتبدأ قائمة الملوك السومرية بإعطاء بيان عن المدن الخمس التي قامت فيها الملكية لأول مرة في البلاد، وتشير إلى أسماء الملوك الذين حكموا في كل من هذه المدن وسنوات حكم كل منهم، ويلاحظ أنها أعطت لهم سنوات حكم خرافية تفاوت فيما بين 200 و 43 عام و 600 و 18 عام وليست لدينا أية أدلة أثرية أو مادة نصية عن الملوك الأسطوريين لهذه المرحلة السابقة للطوفان، والذين ورد ذكرهم في قائمة الملوك السومرية فيما عدا ملك شروباك الذي ورد اسمه في بعض الأساطير.

وتفيد قائمة الملوك السومرية أنه بعد الطوفان أنزلت الملكية مرة أخرى من السماء على مدينة كيش، ومنها انتقلت إلى غيرها من المدن السومرية بالتوالي، وبلغ عدد الأسرات الحاكمة لهذه المدن قبل قيام أكاد أربع عشرة أسرة، كانت أولها أسرة كيش الأولى وأخرها أسرة الوركاء الثالثة.

2. الدولة الأكادية:

الأكاديون قبائل بدوية سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى أرض الرافدين على دفعات متدفقة باستمرار، استقر الأكاديون في المنطقة على مدى مئات السنين من الهجرات المتواصلة، وأسسوا فيها عاصمتهم أكاد التي ينسبون إليها، وقد بلغت الهجرة الأكادية ذروتها في عصر سرجون حوالي عام 2355 ق. م الذي استطاع أن يؤسس إمبراطورية مركزية مترامية الأطراف وصلت حدود المتوسط والأناضول، وبلغت من الاتساع أضعاف ما كان يحلم به حاكم سومري.

استطاع سرجون أن يقضي على الملك السومري لوكال زاجيري الذي حال دون أن يؤسس إمبراطورية سومرية مترامية الأطراف، وقد تمكن منه سرجون بعد أربعة وثلاثين معركة ثم أكمل ما بدأه لوكال زاجيري في توسيع أرجاء المملكة التي امتدت حدودها من الخليج العربي إلى البحر البيض، ومن جنوب الأناضول إلى غرب إيران.

أما في عهد نارام سين–حفيد سرجون–الذي رفع نفسه إلى مصاف الآلهة وفاقت انتصاراته أعمال جده الحربية، فعرفت الدولة الأكادية اتساعا جغرافيا عظيما وتقدما حضاريا كثيرا، لكنه اضطر هو الآخر حفاظا على استمرار الإمبراطورية وبقاءها، القيام بعدة حملات عسكرية أثناء حكمه الطويل، ونذكر الروايات أنه واجه تحالفا كبيرا من عشرين إمارة في المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى إلى الخليج العربي، فكانت هذه الحملات شاقة ومنهكة وباتجاهات مختلفة، المتوسط وآسيا الصغرى، وقد خلد انتصاراته على أنصاب حجرية.

لكن على الرغم من نجاح هذه العمليات العسكرية، باتت الإمبراطورية في أواخر عهد نارام سين مهددة بالخطر، فإتباع مبدأ العنف لم يكن الوسيلة الكفيلة بإقرار السلام في المنطقة، لا بل أساء إلى الدولة الأكادية، لدرجة أن التقاليد من العصور اللاحقة وصفت نارام سين بالملك المشئوم ونسبت إليه تدنيس معبد نيبور الذي نهبه في إحدى حملاته العسكرية.

وفي عهد إبنه–شاركلي شاري–تقلص نفوذ الدولة الأكادية ولاسيما بعد أن أعلنت عيلام الثورة وظهور خطر البد الأموريين الذين بدأوا يتسللون إلى داخل البلاد على شكل جماعات ما برح يتصاعد عددها إلا إن انهيار الدولة الأكادية لم يكن على أيدي العيلاميين أو الأموريين الذين أبعد أُبعد خطرهم، بل على أيدي جماعات جديدة من سكان جبل زغروس الهند أوروبيين: الجوتي (Guti) الذين تمكنوا بعد سلسلة من العمليات العسكرية من الإغارة على وادي الرافدين، ونشر الدمار والفوضى في مدنه التي استولوا عليها وحكموها طيلة 125 سنة.

3. الدولة البابلية (العصر البابلي القديم):

يطلق اسم العصر البابلي القديم على الفترة الزمنية الواقعة ما بين نهاية سلالة أور الثالثة في حدود 204 ق.م وبين نهاية سلالة بابل الأولى في حدود 1594 ق.م وتأسيس الدولة الكشية وسلالة بابل الثالثة، أبرز ما ميز هذه الفترة الطويلة من تاريخ العراق القديم من الناحية السياسية والسكانية تدفق هجرات الآموريين من بوادي الشام والجهات العليا من الفرات وتحطيم الكيان السياسي من وادي الرافدين، وقيام عدة دويلات معاصرة ومتحاربة ضلت حتى قيام الملك البابلي الشهير حمورابي (سادس ملوك بابل الأولى) وفرضه الوحدة السياسية في حدود 1763 ق.م، وهذا بعد حملات عسكرية عديدة تمكن حمورابي من خلالها من بسط نفوذه وتوحيد البلاد في مملكة تمتد من الخليج العربي جنوبًا إلى نينوى شمالاً، ومن جبال بلاد عيلام شرقا إلى الحدود السورية غربا، وأطلق حمورابي على نفسه لقب ملك سومر وأكاد.

قامت الدولة البابلية بدور تاريخي بارز عندما تبنت الإرث السومري الأكادي الحضاري واستوعبته ثم أحيته في قالب يتفق ومتطلبات الحياة الجديدة، ويبدو هذا الاهتمام بالتراث القديم في مقدمة شرائع حمورابي حيث وردت فيها أسماء مدن سومرية مقدسة مثل نيبور أريدو، كما يتجلى هذا التفاعل الحضاري في المجالات الفنية.

لكن الاستقرار النسبي كما عرفته البلاد في السنوات الأخيرة من حكم حمورابي لم يدم طويلا، فالنزاع الداخلي عاد ليظهر من جديد بين المدن العراقية، فقامت أور على رأس ثورة فاشلة ضد الحكم البابلي في عهد سمسوايلونا ابن حمورابي الذي أخمد الثورة وهدم المدينة، لكنه عجز عن مقاومة أعدائه في الخارج، حيث تعددت هجمات الكاشيين وكثرت عمليات التسلل إلى داخل البلاد، وتأسست في الوقت نفسه أسرة جديدة في جنوب العراق عرفت باسم أسرة القطر البحري، وكان ملوكها ينتمون إلى أصول سامية أو سومرية.

استمر النزاع بين الدولة البابلية والعناصر الكاشيية في الشمال، وعناصر القطر البحري في الجنوب من نهاية الأسرة البابلية الأولى، كما تعرضت البلاد لغزو جديد قام به مرسل الأول ملك الحثيين في الفترة الأخيرة من عهد الأسرة البابلية، تمثل في حملة عسكرية على المدن السومرية الشمالية والعراقية، وكان من نتائجها تدمير مدينة حلب والاستيلاء على بابل لفترة قصيرة من الزمن، إلا أنه لم يكن لهذا الحدث التاريخي من نتائج مباشرة بالنسبة للحثيين الذين لم يستقروا في العراق, وتراجعوا ربما بسبب النزاع الداخلي الذي مزق قواهم.

أما بالنسبة للأسرة البابلية، فكان ذلك بمثابة ضربة قاضية مهدت الطريق أمام العناصر الكاشية، سكان جبل زغروس للاستيلاء على الحكم وتأسيس دولة جديدة 1550–1170 ق. م.

4. الدولة الآشورية:

تقع آشور في شمالي بلاد ما بين النهرين، ما بين الزاب الكبير والزاب الصغير اللذان يصبان في نهر الدجلة، في منطقة جبلية تتخللها الهضاب والسهول، منها سهل أربيل وسهل كركوك، تحدها في الشمال والشرق جبال تفصلها عن البلاد المجاورة بينما تتصل في الجهة الجنوبية بوادي الرافدين الممتد حتى الخليج العربي، ولا يوجد أي فاصل طبيعي بينها وبين سوريا في الغرب.

لكن حدود آشور لم تبق على ما كانت عليه في المراحل التاريخية الأولى، بل كانت تتسع أو تتقلص حسب تطور الأحداث السياسية وتبعا لنجاح أو فشل الأعمال العسكرية التي كانت تقوم بها.

أما الشعب الآشوري فمازالت أصوله غامضة، ولكن يعتقد أنه من الساميين الذين آتوا من شبه الجزيرة العربية، ثم استقروا في النصف الأول من الألف الثالث، في هذا الإقليم الشمالي، وهو الإقليم نفسه تقريبا الذي عرف باسم "سوبارتو" وسكنه السوباريون قبل وصول الآشوريين، ويتكلم الآشوريون لغة تنتمي إلى أسرة اللغات السامية وتشبه اللغة البابلية.

اتبع الملوك الأشوريون نظام الحكم المطلق، وتميزت دولتهم بالطابع العسكري الذي عبرت عنه أعمالهم الحربية وفنونهم النحتية والتصويرية، وأنماطهم المعمارية ومدنهم المحصنة، فأشور وهي أحدى عواصم الرئيسية عبارة عن قلعة منيعة استعان الآشوريون في تحصينها بالتضاريس والهضاب المحيطة بها، بنيت منذ أن تأسست في الألف الثالث قبل الميلاد فوق هضبة تشرف من جهة الشمال والشرق على نهر الدجلة الذي يجري عند أسفل الصخور العالية، كما يحيط بها في الجهتين المقابلتين في الجنوب والغرب، خندق عميق وأسوار عالية ومضاعفة، ويقسم المؤرخون تاريخ آشور القديم إلى ثلاثة عصور متميزة هي:

أ) –العهد الآشوري القديم:

ويبدأ من فجر التاريخ الآشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى، حكم أشور خلال هذه المرحلة سبعة عشر ملكًا وذلك حسبما ورد في القائمة التي عثر عليها في خورس باد، إلا أنه يرجح أن بعض هؤلاء الملوك كان يعاصر بعضهم البعض، ومن الناحية السياسية فقد خضع الآشوريون في بداية هذه

المرحة لحكم ملوك أور الثالثة، ولكن بعد سقوط أسرة أور انتهز الآشوريون الفرصة واستقلوا، وذلك مثلهم مثل كثير من المدن الأخرى، وفي ذلك الوقت بدأ الملك الآشوري " بوزور–آشور الأول" الذي حكم تقريبا عام 2000 ق.م بإقامة سلسلة جديدة من الملوك الآشوريين الذين يحملون أسماء أكادية بحتة.

ب. العهد الآشوري الوسيط، أو عصر المملكة الآشورية:

ويبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى وذلك في عهد الملك " أشور أوبلط الأول " وينتهي في بداية القرن التاسع قبل الميلاد وذلك بنهاية عهد الملك " آشوردان الثاني، وقد حكم خلال هذا العهد ستة وعشرون ملكًا، ويعاصر العهد الأشوري الوسيط في مصر عصر الدولة الحديثة.

ج. العهد الآشوري الحديث:

استغرق العهد الآشوري الحديث أو عصر الإمبراطورية ما يقرب من ثلاثة قرون وينقسم إلى إمبراطوريتين تخللتهما فترة ركود وضعف، وتبدأ الإمبراطورية الأولى بعهد " أدد نيراري الثاني " وتنتهي بعهد " آشور نيراري السادس" وذلك من حوالي عام 913–745 ق. م وحكم خلالها تسعة ملوك، وتنتهي الإمبراطورية الثانية بعهد الملك " تجلات بلاسر الثالث وتنتهي بعهد الملك آشور أوبلط الثاني وذلك من حوالي عام 745– 612 ق.م، ولم يستطع آخر ملك آشور الذي استقر في حران أن يفعل شيئا، فقد زال مجد الدولة الآشورية وانتهى ودخل العراق القديم في آخر مراحله الأساسية، وهو الذي يعرف باسم العهد البابلي الأخير أو " الدولة الكلدانية ".

5. الدولة الكلدانية (العهد البابلي الأخير 625–539 ق. م):

أنهكت الحروب الكثيرة قوى الإمبراطورية الآشورية عبر مئات السنين مما أدى إلى سقوطها النهائي في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وفي عام 613 ق. م دمر التحالف البابلي الميدي العاصمة نينوى، كان نهوض الدولة البابلية الحديثة المرحلة الأخيرة للحضارة الرافدية قبل أن تنطفئ شمعتها إلى الأبد.

وقد بلغت مجدها السياسي والعمراني والحضاري كدولة عظمى تحت أكبر ملوكها نبوخذ ناصر، الكلدانيون هم مزيج من شعوب عربية وآرامية، تأثرت شعوب بلاد الرافدين تأثرا بالغا بالآراميين، وأصبحت اللغة الآرامية أكثر شيوعًا وتداولاً، وطبعت الحضارة الرافدين بطابعها المميز الخاص، وفي هذا العصر تم تهجير اليهود من فلسطين وتوطينهم في بابل.

وعلى عكس آشور لم تعد بابل في حالة صراع دائم مع عيلام التي قضت عليها الدولة الآشورية وأزاحت بذلك خصمًا شرسًا أمامها، إلا أن الدولة البابلية الحديثة في

عهد" نابونيد " خليفة نبوخذ ناصر لم تصمد طويلا تحت ضغط الميديين والدولة الفارسية الناهضة فأصبحت جزءا من الإمبراطورية الأخمينية بعد أن سقطت بابل على يد قورش الفارسي عام 539ق.م.

احترمت الدولة الفارسية عادات وتقاليد سكان بلاد الرافدين، بل وتأثرت بها، حتى أن اللغة الأكادية وآدابها وتدوينتها الاقتصادية والحقوقية استمرت في بعض المدن الرافدين، أما التاريخ السياسي لبلاد ما بين النهري، فقد انطفأ بسقوط بابل، كما اختفى البابليون على مسرح الأحداث كدولة فاعلة ومنفعلة إلى الأبد.

ثانيا. الحياة السياسية في بلاد الرافدين:

1. الملك:

اعتمدت الحياة السياسية في بلاد سومر على إمارات المدن ودويلاتها دون أن تتطور إلى نظام الدولة المركزية الكبيرة الواحدة إلا بعد قرون طويلة، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة كثيرة مثل مدن، كيش، وأوروك، وشيروباك، وأور، ولجش، وأريدو، ونيبور، وسيبارو وغيرها، ولقب الحاكم في المدينة السومرية في بداية أمره بلقب " إنسي "، ربما بمعنى النائب أو الوكيل إشارة إلى وكالته عن معبود مدينته في حكم بلده وأهلها، وإشارة إلى القداسة بالوكالة التي يرتكز عليها في ممارسة سلطاته الدينية المدينة.

وما إن أخذت هذه الدويلات في الاتحاد تحت سلطان واحد وهذا ابتداء من العصر الآكادي حتى أصبح هذا النظام غير معمول به، فتركزت السلطات جميعها بأيدي الملوك ومساعديهم أو بمعنى آخر بيد الملك وحكومته أي أصبح نظاما أوتوقراطيا، وقد استند هؤلاء إلى الحق الإلهي للملك إذ تشير الأساطير إلى أن شارات الملك كانت في السماء عند الإله" آنو" قبل أن تبدأ الملكية في الأرض، ثم هبطت الملكية وشارات الملك من السماء إلى الأرض وانتخبت الآلهة حكام البشر، وعلى هذا أصبح لهؤلاء مكانة مقدسة بل ربما اتخذوا صفات الآلهة نفسها، ولكنهم لم يعبدوا كآلهة حقيقية أثناء حياتهم وإنما عبدوا بعد وفاتهم.

2. المهام الملكية:

كان للملك في بلاد الرافدين العديد من المهام الدينية والدنيوية، فبالنسبة لواجباته الدينية فلقد كان هو الكاهن الأكبر للإله الوطني وهو الذي يعين الكاهن الأعلى، وكان الملك مسؤولا أمام الآلهة عن سلوك البشر وأعمالهم، كما أنه الوسيط بينهم وبين الآلهة، وكان يقوم في بعض الأحيان بالتكفير عن

ذنوب البشر وهو الذي يشرف على بناء المعابد وطقوس التطهير واستشارة الآلهة ويراقب إدارة أموال الهياكل، وإقامة تماثيل الآلهة.

أما بالنسبة لواجبات الملك الدنيوية، فلقد كان مسؤولا عن نشر العدالة والمحافظة على حدود الدولة وإقامة الشرائع وحفر القنوات والأنهار، وهو الذي يقوم بتعيين القضاء على جميع درجاتهم، كما كان يستقبل السفراء، ودافعي الضرائب الذين تأتي أعداد كبيرة منهم من كل أنحاء الإمبراطورية في العصر الآشوري الحديث، بالإضافة إلى هذا كله، فقد كان يتولى الملك قيادة الجيش ويمثل في الحملات العسكرية دور نائب الإله.

3. الجهاز الإداري:

كان الملك على رأس الجهاز الإداري للدولة، ومنذ العهد الأكادي تعاظمت سلطة الملك وزادت مسؤوليات الدولة، وعمل سرجون الأكادي على تقليص نفوذ الحكام في مقابل زيادة نفوذ الحكومة المركزية وإشرافها إشرافا مباشرا على أمور الدولة.

واتبع حمورابي نظامًا مركزيًا، حيث حدد صلاحيات جميع الحكام وربطه به شخصيا، وأصبحت كلمة " إنسي" تطلق على المواطن الذي يستمد أوامره ليس من الملك بل من موطن يأتي بعد الملك في المركز، وحرص حمورابي على حصر السلطة في شخصه وأن يستمد الحكام أمره منه شخصيا.

المحاضرة رقم 06: مظاهر حضارة بلاد الرافدين

تمهيد

أولا: الحياة الاجتماعية في بلاد الرافدين

ثانيا. الحياة الاقتصادية

ثالثا. الحياة الفكرية والدينية

تمهيد:

كان لحضارات بلاد الرافدين تأثيرا عميقا على العالم القديم، فقد ساهمت في تطوير العديد من العلوم والفنون، والقوانين والكتابة وغيرها من الإنجازات الحضارية الكبرى، التي ماتزال أثارها تشهد على الازدهار والرقي الذي حققته في الفترة القديمة.

أولا. الحياة الاجتماعية في بلاد الرافدين:

1. الأسرة:

تتطرق قوانين الأحوال الشخصية في العراق القديم إلى تعيين قواعد الالتزام للأركان الرئيسية في نظام العائلة وهي الزواج والطلاق والأبناء والتبني والميراث، وتكشف العقود المتعلقة بالأحوال الشخصية عن التطبيق العملي لجوانب الالتزام في أشكال العلاقات العائلية.

2. الزواج:

هو قران وارتباط جماعي بين الرجل والمرأة، يخضع إلى مجموعة من القواعد الاجتماعية والمالية والقانونية حتى يكون صحيحًا، إن الخطوة الأولى لقانونية الزواج تتمثل في كتابة عقد الزواج الذي ينقل الاقتران بين الجنسين وتثبيت الحقوق والواجبات للطرفين فيما له علاقة بمستقبل هذا الاقتران، كان عقد الزواج العراقي القديم يبرم بين الرجل، الزوج في المستقبل وبين رجل آخر، يكون أب الفتاة، وهذا يسلب حق الاختيار أو القبول والرفض ويمنح ذلك لولي أمرها على الرغم من أنها الطرف الذي يقع عليه تبعات العقد، ومع ذلك فلقد منحت القوانين بعض النسوة حرية الاختيار وتنفيذ الالتزام أو رفضه، وإبرام عقد الزواج، ومثل ذلك حال الكاهنات أو المرأة التي تتزوج ثانية.

ومن واجبات المرأة الحفاظ على عفتها وشرفها وملازمتها لبيتها وعدم الإخلال بسمعتها التي هي سمعة زوجها، وكانت عقوبة المرأة التي تخل بذلك قاسية جدًا تصل إلى الموت أو فقدانها لحريتها، وبالمقابل فإذا أثبت أن الزوج فرط بعفافه، تحكم المحكمة للزوجة بالطلاق دون أن تخسر حقوقها المالية، علما أن عقوبة المرأة في حالة إثبات نفس التهمة عليها هي الموت.

رغم أن العادة قد جرت في العراق القديم على أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة، إلا أنه توجد العديد من القوانين وكذلك الحكم والأمثال التي تشير إلى تعدد الزوجات، حيث كان باستطاعة الزوج إذا لم تنجب زوجته أن يتخذ أحد الآمرين: الأول، إما أن يتزوج بزوجة أخرى تكون منزلتها دون الزوجة الأولى، أو أن يطلق زوجته الأولى بعد دفع مبلغ من المال، ومن الأمور الأخرى التي يستطيع فيها الزوج الزواج

من امرأة أخرى إصابة زوجته الأولى بمرض مزمن أو عاهدة يمنعها من أداء واجباتها، وللزوجة الأولى حق البقاء في منزل الزوجية وأن يضمن لها زوجها سبل حياة تتفق مع مركزه الاجتماعي.

3. الطلاق:

عرف المجتمع الرافدي الطلاق الذي كان من حق الرجل في جميع الحالات، إلا في حالة واحدة فقط كان من حق المرأة فيها أن تطلب التطليق من زوجها، وذلك إذا كانت المرأة شريفة وربة بيت صالحة وزوجها اعتاد الخروج من المنزل والحط من شأنها، وكذلك إذا تزوج زوجها بأخرى نظرا لمرضها، وكانت تعوض بمهرها الذي جاءت به من بيت أبيها.

وكان طلب الطلاق يرد دائما على لسان الرجل، ومن المصطلحات المعبرة عن ذلك أن يقول الرجل لزوجته " أنت لست زوجتي "، أو أن يقوم الزوج بقطع حواشي ثواب زوجته، وعن الحالات التي توجب طلاق الرجل لزوجته، كتفريط الزوجة بعفافها وسمعتها وشرفها وعدم اتفاقها مع زوجها وسوء تقديرها لمنزلها، كما كان عقم المرأة من الأسباب التي تدفع الزوج لطلب الطلاق، كما يجوز للزوج أن يطلق زوجته دون أن تكون قد اقترفت إثما، وليس من شك في ذلك تهديدًا مباشرًا لمبدأ الزواج من امرأة واحدة.

4. الأبناء:

اهتم المجتمع الرافدي مثله مثل باقي المجتمعات الزراعية بإنجاب الأطفال وكثرة الذرية لما تمثله الأيدي العاملة من مصدر دخل وثراء للأسرة، وأوضحت القوانين العراقية القديمة أهمية خصوبة المرأة، وسنت عقوبات لمن يتسبب في إجهاض المرأة الحامل سواء كان بقصد أو غير قصد، وتوضح الحكم والأمثال رغبة الإنسان الرافدي في الإنجاب وسعادته البالغة بذلك، وتقديره الخاص للمرأة المنجبة التي تلد الكثير من الأطفال.

ولقد استخدم السحر بدرجة كبيرة للعناية بالمرأة قبل الولادة، وتضمن ذلك باستخدام الطقوس والتعاويذ، فكانت المرأة تلبس أحجارًا حول الخصر لتسهيل عملية الولادة، كما كانت المرأة التي تصاب بمرض أثناء الحمل يتم علاجها بواسطة الأدوية وكذلك بعض التعاويذ التي اعتقدوا أنها تشفي المرأة المريضة، واستخدموا العديد من العقاقير لتسهيل عملية الولادة فكانت المرأة تمضغ لحاء بعض الأشجار، بالإضافة إلى استخدام بعض المراهم، وكانت القابلات على الأغلب تصاحبن عملية الولادة.

5. التبني:

شاع التبني في بلاد الرافدين، وكان هدفه الحفاظ على الكيان الاجتماعي للأسرة بإعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل، وتضمنت علاقة التبني حقوقا وواجبات للطرفين، وقد يتأخر زوجان عن الإنجاب ولهما رغبة شديدة في استمرار علاقتهما الزوجية لذلك يعمدان إلى تبني ابنا لهم قبل أن يرزقا بأبناء من صلبهم، فإذا أراد المتبني فسخ علاقة البنوة مع الابن المتبني، كان يجب عليه ضمنا كامل حقوقه عند فسخ عقد التبني.

وكان إبرام العقد بين الطرفين يمثل الصيغة القانونية، التي لا يحق بعد إبرامها لأحد منها للرجوع عنها، وألا يتحمل تبعات نقض الاتفاق.

6. الميراث:

اهتمت القوانين الرافدية بالميراث وتوزيع التركة وتعيين الورثة الشرعيين، وكان لتعدد الزوجات وحالات التبني أثره الكبير في تداخل الوراثة، وعلى الرغم من وجود مواد قانونية كثيرة تحدد بعض حالات الوراثة، إلا أن هذه القوانين على كثرتها لم تشمل جميع حالات الميراث.

وعرف العراقيون القدامى ثلاثة أنواع من التركة وهي الأموال غير المنقولة كالراضي والبيوت والحدائق وأموال منقولة كالنقود والحلي والملابس والأثاث، وأخيرا الحقوق المالية وهي نوع من الأموال المنقولة كأن يكون رأس مال شارك في عملية تجارية أو أموال مقرضة إلى آخرين، والقاعدة العامة في تعيين الورثة هي أن الذكور جميعا من الأبناء يتقاسمون تركة والدهم بالتساوي مع منح الابن الأكبر بعض الامتيازات، وبالنسبة للإناث فلم تخصص لهن في التركة سوى قيمة مهورهن إذا هن يحصلن عليها في حياة الوالد، ويذكر البعض أنه كان يخصص للفتاة ثلث الحصة الواحدة في تركة والدها إذا كانت لم تحصل على مهرها.

ثانيا. الحياة الاقتصادية:

1. الزراعة:

اشتهر العراقيون القدامى خلال كافة عصورهم بالزراعة، وأصبحت خصوبة تربة هذه المنطقة مضرب الأمثال عند المؤرخين القدامى كهيرودوت وسترابون، فقد اشتهرت مرتفعات شمال العراق بزراعة الحنطة والشعير وبذور الكتان، وكانت الزراعة مهمة عند العراقيين القدامى حيث يعتمد عليها رخاء البلاد، لذا كثرت لديهم آلهة الحياة والخصب كالإله أيا والإله إنليل.

1 .1. الآلات الزراعية:

استعمل العراقيون القدامى مختلف الأدوات الزراعية كالسكاكين والمناجل الصوانية والأحجار لدق الحبوب، واعتمدوا في الحرث على آلة حجرية مثلثية حادة الحافة، واستعلموا أطباقا من الفخار لفصل الحبوب عن السنابل وكذلك الفؤوس، كما عرفوا منذ العصور الأولى المسحاة التي كانت في البداية مصنوعة من الحجر ثم من المعدن.

1. 2. المحاصيل الزراعية:

كانت أكثر المحاصيل شيوعًا خاصة في الجنوب الشعير والحنطة بمختلف أنواعها، وزرعوا أيضا الذرة، أما الأرز فقد دخلت زراعته العراق متأخرة حيث بدأت حوالي القرن الخامس ق.م، وقبل ذلك أدخل سنحاريب زراعة القطن، وهذا بالإضافة إلى السمسم، ومعناه بالسومرية حب شجرة الزيت، كان القصب ينمو بطريقة تلقائية وشكل عنصرا هاما في الاقتصاد فكانت الماشية تقتات عليه ويستعملونه عند تكامل نموه لبناء البيوت وصنع الحصران، كما زرعت البساتين منذ العصر السومري القديم بمختلف الأشجار، كالنخيل والتين والعنب، ومختلف الخضر كالبنجر (الأحمر والأبيض) والتوم والبصل والكراث والرشاد بالإضافة إلى بعض الفواكه كالتفاح والمشمش والسفرجل والزعرور والرمان والتوت وغيرها.

2. الري:

إذ كانت مرتفعات العراق لا تحتاج إلى وسائل إروائية لتوفر المطر الكافي للزراعة والمناخ الملائم، فالأمر معاكس في جنوبي العراق، لذلك لجأوا إلى وسائل الري فبدأوا في شق القنوات منذ عصر العبيد في الجنوب وتل الصوان.

كان أساس ثراء المدن السومرية الأولى خصوبة التربة التي اعتمدت على الري ولابد أن كانت السيطرة على فيضانات الربيعي بنظام واسع من السدود والقنوات عملية بطيئة وكان الرخاء مدهشا إلى الحد الذي اعتبر السومريون نظام الري متكامل من عمل ألهة الحياة التي خربت كل ما شيده البشر والآلهة، ولم تتوقف هذه حتى أقام هذا الإله حاجزا عظيمًا أوقف به الفيضان وسلط المياه الرائدة على دجلة، فالري لذلك بنظرهم عمل إلهي لخدمة البشرية وإنقاذها.

3. التجارة:

من أسباب ازدهار التجارة في تاريخ بلاد الرافدين هو عدم توفر المعادن والحجارة والأشجار التي تعد مواد ضرورية في مجتمعات الصيد والزراعة، وهي تدخل في صناعة العديد من أدوات الإنتاج

وتعد مواد بناء ضرورية وحيدة، وهذا ما سعت التجارة الخارجية في بلاد الرافدين إلى توفيره للأسواق المحلية، فكانت تجارة النحاس والذهب والفضة والأحجار الصلبة الجيدة وأنواع الأخشاب في مقدمة المواد التي استوردها المنطقة.

أن بعض مواد التجارة الرافدية المستوردة أو المصدرة هي من المواد رخيصة الأثمان مثل: الأحجار أو الأخشاب أو الشعير، والنحاس لذلك كانت تحقق في العملية التجارية الواحدة كميات كبيرة من هذه المواد وذلك لتغطية نفقات الرحلة التجارية أولا، ولتحقيق الفائدة المرجوة من التجارة ثانيا، ومما ساعد على تطوير النقل النهري في العراق القديم إضافة إلى خصائص نهر الفرات المشجعة للملاحة النهرية، أنه في شاطئ الخليج العربي فرصة جيدة ليمتد بتنقلات وسائطه إلى مناطق بعيدة في الخليج العربي، وربما من خلاله إلى شواطئ الهند الغربية وإلى مراكز حضارة وادي السند.

وهكذا تضافرت مجموعة من العوامل على تشجيع العمل التجاري وتنشيطه وتطويره حتى غدا في بعض مراحل تطوره وازدهاره وجها بارزا من أوجه النشاط الاقتصادي في بلاد وادي الرافدين.

4. صناعة التعدين:

لقد كانت بداية شيوع استخدام النحاس في بلاد الرافدين ولأول مرة على شكل أدوات حربية ورؤوس الحراب، ويبدو أن استخدامه كان في أول الأمر بشكله الطبيعي وذلك بطرقه بدون تسخين.

أما عملية صهر النحاس فقد عرفت منذ عصر جمدة نصر في حدود نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، وفيما بعد ظهرت عملية الصهر التي يبدو أنها مرحلة تجريبية مهمة وخطوة هامة في طريق التطور الحضاري ومرحلة كبيرة مؤثرة في تسريع عمليات التطور الحضاري وفي بلاد الرافدين بالذات.

بالإضافة إلى النحاس استخدم الانسان الرافدي في صناعته البرونز الذي هو خليط ناتج عن مزج النحاس والقصدير، وقد كانت تحركاته في سبيل الحصول على الكميات اللازمة من معدن القصدير لتطوير صناعة المعادن عنده واحدة من الدوافع التي مكنت حضارته من الوصول إلى بعض جزر البحر المتوسط ومنها قبرص حيث تكثر رواسبه في أراضيها، واعتبر القصدير في بلاد الرافدين نادر الوجود وكان استيراده اللازم والضروري ليس بالسهل، ومن المواد ذات التكلفة العالية.

استخدم سكان بلاد الرافدين في مجال التصنيع كذلك الذهب والفضة الذي استخدموه في صناعات متعددة منها التماثيل والأسلحة والأدوات ولاسيما الأدوات المنزلية الخاصة، إضافة إلى حلي الزينة وخيوط الملابس والأنسجة، وكان هذان المعدنان من المواد الأولية اللازمة لصناعات مكملة أخرى،

ولقد اجتهد الرافديون وبشكل مستمر في سبيل الحصول عليها سواء عن طريق المقايضة أو عن طرق أخرى بما في ذلك الجزيات.

أما معدن الحديد فقد كان من المعادن المهمة في صناعة الأسلحة وبعض الأدوات، وهو في هذا الجانب أفضل من البرونز وأشد صلابة، ولم يتمكن سكان بلاد الرافدين من توصيل صناعته إلى قطاع البناء والهندسة وربما كان لندرة وجوده آنذاك وتأخر شيوع استخدامه، حيث لا يتعدى ذلك بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

ثالثا. الحياة الفكرية والدينية:

1. الكتابة:

ظهرت الكتابة المسمارية في أواخر فجر التاريخ العراقي القديم، وبدأت بالطريقة التصويرية التي تعبر كل صورة منها عما تمثله على وجه التقريب، وهي طريقة تصلح للتعبير عن الماديات، ولكنها لا تكفي للتعبير عن المعنويات، ثم تطورت الكتابة على أيدي السومريين إلى المرحلة الصوتية التي تؤدي علاماتها وصورها وظائف المقاطع الصوتية ويقصد بها نطق لفضها أكثر من مدلول شكلها، ويمكن التعبير بها عن المعنويات.

وزاد السومريون علاماتهم الموضعية الصوتية مع توالي الزمن واستمرار الخبرة حتى أوفت بمطالب حضارتهم، وبلغت أشكالها مبلغا عدديا كبيرا، ثم اتجهوا بها وجهة خطية، فقللوا انحناءاتها ودوائرها لكي تتناسب خطوطها الحادة الجديدة مع صيغة اللوحات الطينية التي كانوا يجففونها في حرارة عادية بحيث تكسب صلابة مناسبة.

كتب السومريون عباراتهم في بداية عصورهم دون ترتيب ثابت، ثم أصبحوا يرتبون عباراتهم في أنهر رأسية يفصل بين كل نهر منهما وأخر خط رأسي، وكانوا يبدأنها من اليمين أو اليسار ثم انتهوا إلى تفضيل السطور الأفقية، واستمرت موجة الاختزال تعمل عملها البطيء في العلامات السومرية، وواصلت جهتها التخطيطية حتى غدت هيئة كل علامة منها تشبه المسمار مما دعي إلى تسمية كتابتها اصطلاحا باسم الكتابة المسمارية، ويستخدم في كتابتها أقلام من الخشب أو المعدن ذات السن المدبب.

2. الشعر:

خضع الشعر السومري والبابلي لبعض القواعد في النظم والتأليف، ومن ذلك أنه كان يتألف من أبيات قوم كل بيت صدر وعجز وهما يشابهان في المعنى والتأليف وكل منهما يتكون من مقاطع،

مقطعين إلى ثلاثة مقاطع طويلة، ويؤلف بيتان من الشعر وحدة في المعنى، ويمتاز النظم في كل من الشعر السومري والبابلي أن الشعر موزون لكنه غير مصفى فيكون أشبه بالشعر المرسل.

وقد تؤلف أربعة أبيات من القصيدة وحدة من المعنى فتكون القصيدة وحدة من الرباعيات وقد يستعمل كتبة الشعر بعض العلامات أو الفواصل بين مصراعي (الصدر والعجز) البيت الواحد، وبين كل بيت وبيت.

ويمكن أن ترجع أولى المؤلفات الشعرية السومرية إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، ومن أوضح الأمثلة لذلك، ترتيبة طويلة تعود إلى عهد الملك جوديا حاكم لجش وذلك والي عام 2100 ق.م، وهي مسجلة على أسطوانتين من الطين قسمتا إلى أربعة وخمسين عمودا وهي تعرف باسم أسطوانتي جوديا، وتنطوي المادة المسجلة في هاتين الأسطوانتين على الكثير من أوجه الثقافة السومرية فا لدين والفن والعمارة والتجارة والأخلاق.

3. الأساطير الدينية:

تدور أساطير السومريين والأكديين حول الخلق وتنظيم الكون ومولد الآلهة وحدهم وكرههم، وحول أحقادهم ومؤامراتهم وبركاتهم ولعناتهم وأعمالهما الخلافة والهدامة وحقيقة الموت المؤكدة، ومن هذه الأساطير تذكر أسطورة الخليفة البابلية التي تعد من أكمل وأطول النماذج المتصلة بموضوع الخليقة وأصل الأشياء، وهي تعرف عند علماء الآشوريات باسم ألواح الخليقة السبعة.

ولقد اهتم العلماء بدراسة هذه الأسطورة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وكان من أوائل العلماء الذين قاموا بدراستها جورج سميث عام 1876 ولقد ترجمت إلى لغات أوروبية عديدة، ولايزال البحث فيها مستمرا، ورغم أن تاريخ ألواح الخليقة السبعة ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، إلا أنه يستدل مما جاء فيها أن زمن تأليفها يرجع إلى عهد أسرة بابل الأولى، وإلى عهد حمورابي على الخصوص، ويتضح ذلك تمجيد الإله مردوخ معبود بابل وتعظيم شأنه ومن ثم تمجيد بابل، وعندما غدت آشور في الألف الأول قبل الميلاد القوة الكبرى استبدل الكتاب الآشوريون الإله مردوخ بإلههم آشور، وأدخلوا على القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد.

4. ملحمة جلجامش:

اشتهر جلجامش في أدب العراق القديم وصار موضوعا لعدة ملاحم وقصص سومرية وبابلية، وهي تدور حول وصف أعماله ومغامراته التي قام بها وبطولاته التي تقترن به، ومن أشهر القصص الملاحم التي حيكت حول اسم جلجامش وأعماله الملحمية المشهورة بقصة جلجامش، وهي تتناول موضوعًا

إنسانيا محضًا وتتعامل مع أشياء دنيوية مثل: الإنسان والطبيعة والحب والمغامرة، والآلهة والصداقة، والصراع لتكون منها جميعا فصولاً تمهيدية لموضوع الملحمة الرئيسي وهو حقيقة الموت المطلقة، و ورد اسم جلجامش في ملوك الوركاء وذلك في عهد أسرة الوركاء الأولى وذلك حوالي عام 2650 ق.م.

وعثر على ملحمة جلجامش ضمن المؤلفات المحفوظة في مكتبة آشور بانيبال في نينوى كما عثر في مدن أخرى على بعض الألواح الطينية التي تكون أجزاء منها، ويرجع أن أول تدوين للملحمة البابلية كان في العصر البابلي القديم في حدود 2000–1600 ق.م وأنها صارت بشكلها النهائي المعروف حاليا في الفترة من 1500–1200 ق. م.

ويمكن تقسيم هذه الملحمة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، يتصل الجزء الأول بأعمال جلجامش ومغامراته، والجزء الثاني قصة الطوفان، أما الجزء الثالث المسجل على اللوح الثاني عشر فهو يتصل بوصف العالم الأسفل أو عالم الأرواح، كما رآه أنكيدو صديق جلجامش، كما سجلت العديد من مناظر الملحمة على العديد من الأختام الأسطوانية.

5. الآلهة الرئيسية:

تميزت البيئة في العراق القديم بالتقلبات وعدم الاستقرار والتغيير المستمر إلى درجة إلحاق الضرر والأذى بالإنسان السومري وتعرض حياته الاقتصادية للخطر، لذلك اتجه إلى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التي اعتقد بتحكمها في عالمه الدنيوي والأخروي، وبدأ في محاولة تحديد مفهومها وإعداد ما يلزم لاكتساب رضاها، فقدس آلهة كثيرة ومن أهمها ما يلي:

–**أنو:** هو رئيس الآلهة جميعا والأب الأعظم، إله السماء، واعتبره السومريون مصدر الخير والشر في آن واحد لأن السماء هي التي تحتضن العوامل الجوية التي تؤثر سلبا أو إيجابا على الإنسان وعلى موارده الغذائية ومصدر حياته.

–**أنليل:** إله الهواء والجو يمتد حكمه بين السماء والأرض، لا يحب البشر، فقد كان هو السبب في حدوث الطوفان الذي أباد البشر باستثناء "أتونبشتيم" الذي أنقذ نفسه ومن كان معه في سفينته حسب ما جاء في قصة الطوفان، زوجته تسمى "تنليل".

–**آيا:** تأتي مرتبته بعد أنليل، إله الحياة وكذلك الحكمة، فهو الذي يتحكم في مياه الينابيع والأنهار (الفرات)، يسقي الجنان والحدائق فهو الذي يشرف على خصوبة الأرض ويهتم بحاجات الأرض

الزراعية، وهو الذي علم الإنسان الاستقرار والزراعة وهو يحب البشر لذلك أنذر أتونبشتيم أن يصنع فلكا وينجوا أهله من الغرق (الطوفان).

-**سين:** يمثل الإله سين القمر، وهو يأتي على قمة الثالوث الثاني الذي وضعه البابليون لآلهتهم وهو يضم معه إله الشمس (شمش) "وادد"، عبد في مدينة "أور" منذ القديم وكان له معبد فيها.

-**شمس (شمش):** يلي إله القمر في المنزلة، وحسب الاعتقاد البابلي فقد ولدت الشمس عن القمر وأطلق عليه السومريون اسم "أتو" وتعني لديهم النور ومقره في الشمس، وكان رمزه عبارة عن قرص مزين بنجم ذي أربعة أطراف، تفصلها عن بعضها البعض أشعة مموجة.

-**عشتار:** هي الآلهة التي اشتهرت في العالم القديم كله، ابنة الإله "سين" وشقيقه "أنو" إله الشمس، إلهة الحرب والحب، وكان يرمز لها بزهرة، عبدها الفينيقيون باسم عشتروت، والرومان باسم فينوس (Venus).

-**أدد:** إله الرعد والبرق وكذلك الزوابع والعواصف.

-**مردوخ:** كان الإله مردوخ إلها محليا في مدينة بابل إلى أن رفعه حمورابي إلى الرتبة الأولى فعظم شأنه ورضخت له كافة الآلهة وتنازلت له عن ألقابها وصفاتها.

-**آشور:** إله الحرب والإله الأعظم عند الأشوريين، فكان بمثابة مردوخ عند البابليين، وسموا ممتلكاتهم باسمه تباركا له وباعتبار أنه حامي الملك والمملكة وأصبح على رأس الآلهة البابلية والأشورية وشيدت له معابد في كافة المدن الأشورية.

6. المعابد:

انتشرت المعابد في كل أرجاء بلاد الرافدين لأنها ذات أهمية كبرى وعلاقة وطيدة بحياة الناس وشؤونهم الدنيوية، وهو بمثابة محكمة أو مركز لحل مشاكل الناس والفصل في الخصومات التي تحدث بينهم، كما كان المعبد مصرفا وبنكا لإيداع الأمانات، لذا عثر في كثير من المعابد الرافدية على كنوز ثمينة محفوظة تتمثل في السجلات الدينية والدنيوية والآثار الفنية.

وقد اشتهرت العابد الرافدية الرئيسية المبنية على الأماكن العالية باسم "زقورة" بمعنى القمة المرتفعة أو المدببة، وقد جاءت فكرة الزقورة من فكرة إقامة معبد الإله في مكان مرتفع للتعبير عن السمو والعلو،

وكان شكل الزقورة مربعا أو مستطيلا وتتكون من عدة طبقات مدرجة يختلف عددها باختلاف المكان المختار، يتراوح ما بين ثلاثة أو سبع طبقات ويشيد فوق الطبقة الأخيرة أي البرج العلوي معبد صغير يعتبر مزار يوضع فيه تمثال الإله، واعتبر البابليون هذا المعبد مكانا لاستراحة الآلهة عند نزولها من السماء.

7. الكهنة:

لم يكن هناك فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين في العراق القديمة عند نهاية التاريخ البابلي، فقد كان الأمير الكاهن الأكبر لإله مدينته، وكان الملك الكاهن الأكبر للإله الوطني، ولقب الملوك أنفسهم بلقب كهنة الآلهة، وكثيرا ما تقلد الحكام والأمراء والأميرات منصب الكاهن العلى لإله معين، وانعكس تطور الحياة لاجتماعية والسياسية على شؤون المعابد، فظهرت طبقات من الكهنة لكل منها درجته وعمله الخاص به، وكان على رأسها الكاهن الأعلى المنوط به إدارة شؤون المعبد، ومن هذه الطبقات ما كان يختص بأمور التنظيف والتطهير الديني، ومنها ما يختص بإدارة شؤون المعابد وامتلاكها وواردتها، ومنها ما اتصل عمله بأعمال السحر والعرافة، كما كان هناك الكهنة المختصون بأعمال الغناء والترتيل والموسيقى ويأتي على رأس الكهنة الكاهن الأكبر الذي أطلق عليه "الإين".

وتمتع الكاهن الأكبر بسلطات كبيرة، فكان في بداية التاريخ العراقي يجلس على عرش فخم يصنع خصيصا له، ويبدو أن هذا العرش كان لا يختلف عن العرش الذي كان يجلس عليه الحاكم خلال الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد.

8. عالم ما بعد الموت:

اعتقد الإنسان الرافدي في حتمية الموت بالنسبة لجميع البشر، وكان الموت عندهم من طبيعة الإنسان وتركيبته إذ انه خلق ومعه حياته وموته وهو قانون طبيعي، قدرته الآلهة عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته لم يتصور أن الموت غاية تنتهي عندها الحياة وتنعدم انعداما كليا، وإنما يعني الموت عندهم انفصال الروح عن الجسد، وإن الميت لا يعود هو نفسه إلى الحياة، بل الذي يعود منه هو الروح التي تحيا الحياة الآخرة في عالم الأرواح، وهو العالم السفلي حيث تعيش هناك إلى الأبد من غير قيامة ولا رجعة.

واعتمدت راحة الروح في عالم الأرواح عندهم على العناية التي يبذلها الأحياء في دفن الجسم وفق الطرق والقواعد الدينية وعلى ما يودع في القبر من أثاث وطعام وعلى القرابين التي تقدم لقبره في المناسبات المختلفة، واعتقد الإنسان العراقي القديم أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة بعد الموت، ويتحول إلى روح شريرة وهي لا تستريح طالما لم يدفن الجسد، وعلى ذلك فإن الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة للمتوفي.

المحاضرة رقم 07: حضارة فارس وعيلام

تمهيد

1. الموقع الجغرافي لبلاد فارس
2. الموطن الأصلي للفرس
3. الأخمينيون
4. مظاهر الحضارة الفارسية

1.4 المظهر السياسي

2.4 المظهر الاجتماعي

3.4 المظهر الديني والثقافي

تمهيد:

شملت الحضارة الفارسية كل المناطق التي كانت تخضع لفارس القديمة، والتي تضم كلاّ من إيران وأفغانستان الحاليتين، وهذه الأرض الشاسعة أطلق عليها الفرس اسم أرض الأريين الذي اشتق منه اسم إيران. ازدهرت وترعرعت الحضارة الفارسية في ظل حكام أقوياء، عملوا على تدعيم وتثبيت أركان إمبراطوريتهم وحضارتهم، ومن أبرز ملوكها "قورش الكبير"، و"داريوس الأول" و"أحشورش" وغيرهم.

1. الموقع الجغرافي لبلاد فارس:

شكل بلاد فارس جسرا طبيعيا هاما يصل بين الطرفين الأدنى والأقصى للقارة الأسياوية، لوقوعها بين بحر قزوين في الشمال، والخليج العربي وبحر عمان في الجنوب، تتألف هذه البلاد من هضاب تحدها مجموعة من السلاسل الجبلية مثل "البرز" في الشمال وجبال "خورسان" في الشمال الشرقي، وجبال زغروس الفاصلة بين إيران ووادي الدجلة والفرات. ان طبيعة هذه البلاد الجغرافي قد عزلت شعوبها مدة طويلة من الزمن، عن البلاد المجاورة وحالت أحيانا دون التفاعل الحضاري معها، ففي الوقت الذي تطورت فيه الحضارة في كل من مصر وبلاد الرافدين، بقيت البلاد الإيرانية باستثناء عيلام محافظة على مظاهر العصر الحجري، ولم تتوصل شعوبها الى إيجاد وحدة سياسية، الا بعد ظهور القبائل الميدية والأخمينية.

2. الموطن الأصلي للفرس:

الفرس من القبائل الهندو أوروبية التي قدمت بلاد إيران في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وكانت هذه القبائل قد هاجرت من موطنها في جنوب روسيا، وقد استقروا في البداية في المنطقة الواقعة الى الجنوب الغربي من بحيرة" أرومية"، والى حدود "ديماوند شمال طهران، وتذكر بعض الروايات الإيرانية أن هجرتهم من موطنهم الأصلي كان بسبب كثافة الثلج، مما جعله غير صالح للعيش، فهاجروا الى الجنوب نحو "سوغدة" (بخاري)، ومورو (مرو)، ولكن أعدائهم أجبروهم على ترك هاتين المنطقتين، فرحلوا الى "باخدي" (بلخ)، ومن بلخ ذهبوا الى "نيسابة (نيسابور)، وكانت المراحل الأخيرة من الهجرة هي "هريو" (هرات) ثم "واي كرت" (كابل).

3. الأخمينيون:

عرفت القبائل الفارسية باسم الأخمينيين، وفد انتشر الفرس الاخمينيون في أماكن مختلفة من الهضبة الإيرانية، حيث أسسوا في بادئ الأمر دويلات صغيرة كانت تابعة بالولاء إما للميديين وإما للأشوريين، لكن الأحداث التاريخية في الشرق دفعتهم الى الوحدة والى تأسيس دولة جديدة حكمت إيران، وشمل نفوذها في الفترة ما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد بلاد الشرق دفعتهم الى الوحدة والى تأسيس دولة جديدة حكمت أيران، وشمل نفوذها في الفترة ما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد، بلاد الشرق الأدنى القديم، بما في ذلك شمال افريقيا وقسما كبيرا من اليونان، وأصبحت خاصة في عهد ملكها "قورش" امبراطورية مترامية الأطراف، عرفت الحضارة الفارسية أوج تطورها في عهد قورش وابنه داريوس.

4. مظاهر الحضارة الفارسية:

تبرز الحضارة الفارسية في عدة اشكال ومظاهر، تشمل جوانب متعددة سياسية واجتماعية وثقافية ودينية وغيرها، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1.4. المظهر السياسي:

بلغت الإمبراطورية الفارسية أبعد حدودها في عهد داريوس الأول وشملت بلدانا متعددة وشعوبا مختلفة، بلغت حسب بعض النصوص تسعة وعشرين شعبا بربريا في الأقاليم الشرقية، إضافة الى شعوب أخرى متحضرة كان للملك السلطة المطلقة في الحكم وينتمي أصل فارسي والى سلالة الأخمينيين ذات الحق الشرعي في الملك، كانت مدينة" شوش" العاصمة الفعلية للإمبراطورية الفارسية، حيث كان القصر الملكي فيها المقر الرئيسي لإدارة شؤون الدولة ، وكان الى جانب الملك مجلس السبعة، ويشرف عليه الرئيس الأعلى للحرس الخاص، قسمت الإمبراطورية ابتداء من عهد داريوس الى عشرين ولاية، ولكل منها حاكم يدير شؤونها ويسهر علي جباية الضرائب، لكن ازدياد نفوذ حكام الأقاليم واتساع اقطاعاتهم دفعهم الى استغلال هذه المقاطعات لصالحهم الخاص واللجوء الى الثورة والعنف رغبة في التحرر، الأمر الذي أدى الى تفكك الإمبراطورية وانهيارها. في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

2.4. المظهر الاجتماعي:

شكلت الأسرة الفارسية نواة المجتمع، والأساس للتجمعات العشائرية، ثم القبائلية التي كونت فيما بعد الدولة الإمبراطورية المترامية الأطراف، وشاع عند الفرس مبدأ تعدد الزوجات وكان التأثير الزرادشي واضحا كل الوضوح على الناحية الاجتماعية للفرس، وذلك للتداخل الشديد بين الجانبين العقائدي والاجتماعي، حيث تؤكد العقيدة الزرادشية على أهمية الزراعة وتربية الحيوان كمهنتين نبيلتين عظيمتين، كما تُؤكد على ضرورة تشجيع الأعمال الخيرة ونبذ كل الممارسات الشريرة.

كان المجتمع الفارسي أيام الساسانيين مجتمعا طبقيا لا مساواة فيه بين فئات المجتمع، وكان مكونا من أربع طبقات، تتمثل في الطبقة الدينية والطبقة العسكرية وطبقة موظفي دواوين الدولة، وتأتي في ذيل الترتيب الطبقة الشعبية، والتفاوت كان بازا في الملبس والمركب والمسكن والمستوى الاجتماعي وغيره، ومن الظواهر الاجتماعية المنشرة عند الفرس كذلك الذل والاستكانة والخضوع للملوك وذلك بتكوين اعتاد عن دمهم الإلهي، وأنهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر، لا يجري اسمهم على لسانهم ، ولا يجلس أحد في مجلسهم، ويعتقدون أن لهم الحق على كل الناس. كما انتشرت في بلاد فارس بعض العادات السيئة التي تمقها الطباع السليمة والنفوس المستقيمة، مثل الزواج بالمحرمات كالبنت والأخت.

3.4.المظهر الديني والثقافي:

على الرغم من الوحدة السياسية والإدارية، فان الدولة الفارسية لم تحاول تثبيت أو دعم الروابط الثقافية بين إيران والهند من جهة، وإيران وبابل ومصر واليونان من جهة أخرى، أما الديانة الفارسية فإنها تعتبر من أرقى الديانات القديمة، بل من أهم ما أنتجه الفكر الفارسي، وهنا تجدر الإشارة الى أن الألهة في الديانة الإيرانية لم تجسد في صور وتماثيل، واكتفت بتقديم لها الأضاحي التي كانت تُقدم فوق مذابح. وكانت الديانة الفارسية تعود الى تعاليم زرادشت والتي سجلت في كتاب "أفسطا" (Avesta)، وتقوم على مبدأ الصراع بين روح الخير والشر.

حسب موسوعة الأديان الميسرة، فان تأسيس الزرادشتية يعود من الناحية المكانية الى بلاد فارس، أما من الناحية الزمنية فيعود للقرن السادس قبل الميلاد، والمؤسس هو زرادشت بن يورشب الذي تزامن مع الملك "كشتاسب بن لهراسب"، ومن أسماء الزرادشتية "المجوسية" لأن القبيلة الفارسية المعروفة

بالمجوس كانت أول من فتحت ذراعيها لهذه الديانة، وهم يعتقدون أن للخير إله يسمى "ألأهورامزدا" وهو إله النور وهو من يستحق الاتباع والنصرة، وفي المقابل هناك إله الشر والظلمة يسمى "أهرمان" ويجب أن يحارب ويعصى، ولذلك تطلق عليهم بعض الكتب مصطلح "الثنوية"، ومن طقوسهم الشهيرة تقديس النار.

أما بخصوص المظهر الفني فقد اشتهرت الحضارة الفارسية بعنايتها بالفن المعماري، ويظهر ذلك مثلا من خلال أثار مدينة "برس بوليس" التي تسمى باللغة الفارسية "تخت جمشيد" وهي تقع بالقرب من مدينة "شيراز" حاليا، وهي تحتوي على أثار لمدينة كاملة وتشمل القصر الملكي الأخميني ومعابد للديانة الفارسية القديمة ومعسكرات ومخازن للمياه والكثير من الأثار التاريخية. ولقد كانت العمارة الفارسية القديمة تؤلف مزيجا من الثقافات اليونانيو والمصرية والبابلية وغيرها مثلما تبينه تلك الأثار المتبقية من القصور الملكية الضخمة في "برسارغادا" و"بيرسيبوليس" و"سوسا"، وهي ما يعرف اليوم باسم إيران. إضافة الى الكؤوس والصحون الذهبية التي تم العثور عليها من خلال عمليات التنقيب والحفر.

المحاضرة رقم 08: حضارة سوريا القديمة

تمهيد

1. الموقع الجغرافي
2. أصل السكان والتسمية
3. الشعوب التي سكنت سوريا
   أ. الأموريون
   ب. الكنعانيون (الفينيقيون)
   ج. الأراميون
   د. العبرانيون
4. مظاهر الحضارة الفينيقية
   أ. المظهر الاقتصادي
   ب. المظهر الفكري والفني
   ج. المظهر الديني

تمهيد:

يرجع تاريخ سوريا الى أولى الحضارات الإنسانية القديمة في بداية العصر البرونزي، وتعتبر موطن لأقدم الحضارات في الشرق، ومن سوريا كانت بداية الزراعة وتدجين الحيوانات وأولى التجمعات الحضارية للإنسان القديم، وكانت أساس النشاط البشري فيها، حيث تعاقبت على سوريا الكثير من الحضارات منذ انسان العصر الحجري.

1. الموقع الجغرافي:

تطلق تسمية سوريا على المنطقة الواقعة بين جبال طوروس شمالا وسيناء جنوبا، وبين البحر الأبيض غربا وبلاد النهرين شرقا، وأطلق العرب على هذه المنطقة اسم "الشام" وتعني اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمن وذلك بالنسبة الى أهل الحجاز، وهي تقابل كلمة "مارتو السومرية التي تفيد معنى الغرب.

2. أصل السكان والتسمية:

أطلق سكان بلاد الرافدين القدامى على سوريا اسم "أمور" وهي تقابل كلمة "مارتو" السومرية التي تفيد معنى الغرب، وفي نصوص رأس شمرة التي ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وردت كلمة "شرين"، واستعملت كلمة "سريون" في المصادر العبرانية عند الإشارة الى إقليم لبنان الداخلي، وقد سمى البابليون اقليمان في الفرات باسم "سو–ري" و"سر–ري"، ومنذ العهد اليوناني استخدم اصطلاح "سورية"، وكان يعني بلاد الشام جميعا، وظل استعماله مستخدما حتى العصور الحديثة.

3. الشعوب التي سكنت سوريا:

كان لموقع سوريا المتوسط بين الحضارتين مصر وبلاد الرافدين أثره في تطور الحياة فيها، وفي حضارتها، كما أثر في عدم وجود قوة سياسية واحدة من هذه المنطقة من العالم تضم كل إقليم سوريا، أو بلاد الشام، وانما ظهرت فيها وحدات صغيرة تقوم في مدن حصينة، بينما ظل أغلبيتها ممن عاشوا خارج المدن بدوا ينتقلون من مكان لأخر ويضغطون باستمرار على المراكز المستقرة، ومن الشعوب التي استقرت بمنطقة سوريا ما يلي:

أ. الأموريون:

يمثل الأموريون الموجة السامية الأولى التي جاءت الى سوريا من شبه الجزيرة العربية، ونحن لا نعرف الاسم الذي أطلقه الأموريون على أنفسهم، ولقد أطلق عليهم حيرانهم السومريون في الشرق تسمية "مار–تو"، وأطلق عليهم الأكاديون اسم "أمورو" الذي يفيد معنى الغرب، وأطلق البابليون الاسم كله على سوريا، كما سموا البحر المتوسط باسم بحر "أمورو العظيم"، وعاصمة الأموريين هو "ماري"، واسم إلههم القديم" مارتو" وهو إله الحرب والصيد.

ظهر الأموريون تدريجيا فيما بعد في سوريا الوسطى ولبنان وحتى في فلسطين في الجنوب، وأخذوا يثيرون المتاعب سكان بلاد الرافدين، ولقد ورد في نصوص بعض ملوك أسرة أور الثالثة ما يوضح ذلك، فلقد أشار الملك "شو–سين" الى قيامه ببناء سور أطلق عليه اسم "حائط أمورو" لصد هجمات الأموريين.

ب. الكنعانيون (الفينيقيون):

يمثل هؤلاء الجماعة السامية الثانية التي قامت بدور هام في تاريخ وحضارة الإقليم السوري، وقد قدموا الى سوريا مع العموريين أو في أعقابهم مباشرة، وتنتمي هاتان المجموعتان –الأمورية والكنعانية– الى أصل واحد، كما تشابهت لغاتهم الى حد بعيد.

اختلف المؤرخون حول أصل كلمة كنعان، فاتجه البعض الى أن اسمها سامي وأنهم عرفوا بالكنعانيين نسبة الى جدهم الأول "كنعان"، ورأى أخرون أن أصل كلمة كنعان إنما هو مشتق من كلمة حورية هي "كناجي" وتعني الصباغة القرمزية التي اشتهروا بها، ومنها اشتقت الكلمة الأكادية "كناجي"، وبعد أن اتصل الاغريق بهذه الشعوب السامية أطلقوا عليها اسم "فينكس" أي أحمر أرجواني، وهو يشير الى الصناعة نفسها. وهكذا كانت تسميتهم القديمة بالكنعانيين وبالإغريقية الفينيقيين، وقد أسسوا فيما بعد حضارة متطورة يلغ تأثيرها عدة مناطق من العالم القديم عن طريق التجارة وانشاء مستوطنات.

ج. الأراميون:

يمثل الأراميون الموجة الثالثة من موجات الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية بعد موجة الأموريون والكنعانيون، وكانوا في أول الأمر يجوبون أنحاء الجزيرة من جهة الشمال ويتحركون الى الشرق من ناحية العراق، والى الغرب من ناحية سوريا، حتى بدأوا يستقرون في العراق الأوسط.

وهناك من المؤرخين من يتجه الى القول بأن الموطن الأصلي للأراميين، إنما كان في الصحراء العربية السورية، أو منطقة الهلال الخصيب، ويرون أن قيام دولة أرامية اتخذت من دمشق عاصمة لها، ومدت نفوذها على شمال الشام وإقليم الجزيرة انما كان من وراء هذا الاتجاه، الا أن المرجح كما سبق القول بأن موطن الأراميين الأصلي انما كان شبه الجزيرة العربية، وحسي بعض المؤرخين تكون الهجرة قد تمت قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

تمكنت بعض الجماعات الأرامية من اجتياح قسم كبير من شمال سوريا ووسطها وجنوبها خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، وبلغ الأراميون أقصى أهميتهم السياسية في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، وتمكنوا خلال هذه الفترة من تأسيس عدد من الدول الأرامية على حساب الأشوريين، أهمها مملكة دمشق، الا أنه يلاحظ أن قوة توسع الأراميين لم تصاحبها القدرة على تنظيم فتوحاتهم، فلم ينشأوا أبدا وحدة سياسية فعالة، وكان السبب الأساسي في ضعفهم انقسامهم الى ممالك صغيرة، مع الأجناس المتباينة التي اختلطوا بها.

د. العبرانيون:

يمثل العبرانيون الشعب السامي الرابع الذي سكن سوريا بعد الأموريين والكنعانيين والأراميين، ويرجح أن دخول العبرانيين الى كنعان كان في هجرات متتالية وليست هجرة واحدة، وكان الكنعانيون يشكلون معظم السكان عندما جاءت هذه الهجرات، وامتزج القادمون الجدد، وهم من البدو، ببيئتهم الجديدة شيئا فشيئا، وانتقلوا الى الحياة الزراعية المستقرة، وقد استوطنوا مدنا معينة، ولكنهم كانوا يقيمون بصفة خاصة في المناطق الريفية، وقد ترك العبرانيون لهجتهم السامية القديمة واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم.

أما بالنسبة لوجود العبرانيين في سوريا، فتشير الروايات العبرانية الة أن إبراهيم الخليل–عليه السلام– جدهم الأكبر قد أتى من أور في بلاد الرافدين عن طريق "حمران" وأقام مؤقتا قرب جبرون (الخليل)، حيث تناسل أبناؤه، وكان من نسلهم يعقوب عليه السلام الذي من بين أبنائه يوسف عليه السلام الذي أقام في مصر وارتفع شأنه بها، ولحق اخوته به، وبعد حين من الزمن عد ورثتهم مرة أخرى الى فلسطين تحت قيادة موسى، وتعددت أراء المؤرخين حول خروج بني إسرائيل من مصر

بقيادة موسى عليه السلام، وان كان يرجح أن يكون الخروج قد تم في عهد الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني(1224-1214).

بدأ العبرانيون يمدون سيطرتهم على المدن الكنعانية، ويعتبر داوود عليه السلام حوالي (1004-963 ق.م) المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية، وشيد عاصمته في حصن أورشليم أليبوسي، وشيد في هذه العاصمة قصره الذي استعان في بنائه بخشب الأرز من لبنان، وجاء بعده ابنه سليمان عليه السلام حوالي (963-923 ق.م)، وتميز عهده بكثرة التشييدات المعمارية أهمها قصره.

4. **مظاهر الحضارة الفينيقية:**

ساعد النشاط التجاري الفينيقي على اتصالهم بالشعوب القريبة والبعيدة منهم، وعلى ازدهار وتطور حضارتهم، وتتضح معالم ومظاهر الحضارة الفينيقية فيما يلي:

أ- المظهر الاقتصادي:

❖ **الزراعة:** يتميز الساحل الفينيقي بقلة الأراضي الزراعية الخصبة بسبب الطابع الجبلي الذي يغلب على المنطقة، هذا ما دفعهم فيما بعد الى البحث عن مجال حيوي أخر لتأمين حاجياتهم الغذائية خاصة أمام ازدياد الكثافة السكانية، رغم ذلك فقد كانت زراعتهم تشكل عملا دائما في نشاطهم الاقتصادي.

استصلح الفينيقيون السفوح لمنع انجراف التربة وزرعوا فيها الحبوب والخضر والأشجار المثمرة كالكروم والزيتون، واستخدموا المحراث العادي والمنجل الحديدي، أما عملية الدرس واستخلاص الحبوب من السنابل فكان يتم بواسطة الثيران والبغال والخيول. اشتهر الفينيقيون باستغلال الغابات الكثيفة ذات الأشجار المتنوعة كالصنوبر البحري في السواحل وأشجار الأرز في جبال لبنان.

يعد القمح من المحاصيل التي كانت تنتج في فينيقيا، بالإضافة الى الشوفان والشعير والفاصوليا والعنب والزيتون والتين والرمان والجوز، ويبدو أن قلة الأراضي الزراعية لدى الفينيقيين دفعهم للاعتماد على جيرانهم المصريين وسكان بلاد الرافدين، كما التجأوا الى التجارة البرية والبحرية لتوفير ما ينقصهم في المجال الاقتصادي عامة والمجال الزراعي عامة.

❖ **الصناعة:** أولى الفينيقيون عناية لبعض الصناعات وبرعوا فيها، وتفوقوا على شعوب العالم القديم وتمكنوا من تأمين الأدوات والوسائل الضرورية لحياتهم، فوفروا حاجياتهم وحققوا الاكتفاء الذاتي من جهة، وصدروا الفائض نحو الشعوب المجاورة من جهة أخرى، ومن أشهر الصناعات الفينيقية ما يلي:

– **صناعة الأرجوان:** اشتهر الفينيقيون بصناعة الأرجوان التي كانت تستخرج من صدف المريق وعادت عليهم هذه الصناعة بالأموال الطائلة والشهرة العالمية فتحكموا في أسواق العالم، وقد أشاد المؤرخون القدامى كثيرا بأرجوان مدينة صور ، حيث اعتبره كل من بلين (Pline) وسترابون (Srabon) من أجود أرجوان أسيا، ومما يدل على ذلك إقبال ملوك وأباطرة اليونان والرومان على اللباس الملكي الأرجواني الذي صبغه الفينيقيون.

– **صناعة المعادن:** مكنت الملاحة البحرية الفينيقيين من الحصول على المعادن كالبرونز والحديد والفولاذ والذهب والنحاس من المستوطنات التي أسسوها، وصنعوا أدوات مختلفة كالسلاح والنقود والحلي والتماثيل والكؤوس وغيرها.

– **صناعة العاج والزجاج والفخار:** استورد الفينيقيون العاج من الهند وافريقيا وحولوه الى تحف رائعة، كما اعتمدوا على خبرة المصريين وسكان بلاد الرافدين لتطوير صناعة الزجاج فنجد حاليا في بعض متاحف أوروبا العديد من مصنوعاتهم الزجاجية الملونة، كما برعوا في صناعة الفخار والخزف فصنعوا كميات هامة من الأواني الفخارية لحفظ المواد الزراعية والسوائل كالحبوب والزيت والنبيذ والعسل وغيرها، وكذلك صناعة أواني الطبخ والأكل والشرب وصناعة الجرار التي أخذها الإغريق عن الفينيقيين.

– **صناعة السفن:** لقد أدت خبرة الفينيقيين في الملاحة ومعرفة أسرار البحر واهتمامهم بالتجارة خاصة البحرية الى تطوير صناعة السفن، وكان العامل الأساسي في ذلك هو توفر الخشب الذي اشتهرت به جبال لبنان، ولقد كانت السفن الفينيقية في البداية صغيرة الحجم وقليلة الارتفاع وتسير بمحاذاة الشاطئ، ومع مرور الوقت أصبحت أكثر حجما ومتانة وسرعة خاصة بعد اكتشاف المسمار الحديدي، وكان هناك نوعان من السفن الفينيقية وهما "المدورة" التي تستعمل في النقل و"الطويلة" المستعملة في الحروب، فكان للفينيقيين أسطول قوي تمكنوا بفضله من ربط الشرق بالغرب.

❖ **التجارة:** اشتهر الفينيقيون بالتجارة وربحوا منها ربحا عظيما، كما ساعدتهم على تطوير حضارتهم والتأثير حضاريا على غيرهم، علاوة على توسيع ممتلكاتهم حتى أصبحت لهم السيادة على البحار والتجارة العالمية، من البحر الأسود الى المحيط الأطلسي وبحر بلطيق، من العوامل التي ساعدت الفينيقيين على تطوير النشاط التجاري وتأسيس محطات تجارية على طول السواحل الافريقية والأوروبية ما يلي:

- موقع فينيقيا الاستراتيجي، حيث كانت أشهر المدن الفينيقية تطل على الحوض الشرقي للمتوسط مما سهل عملية التنقل والاتصال مع مختلف دول العالم القديم.
- غنى فينيقيا بثروتها الغابية، حيث تعد أخشاب غابات الأرز من أجود الأخشاب لصناعة السفن.
- ضيق مساحة الأراضي الزراعية في الساحل الفينيقي مما دفعهم الى اعتماد نشاط اقتصادي أخر لسد حاجياتهم.
- فقر فينيقيا من حيث المواد الأولية، فكان لابد من قطع مسافات طويلة للبحث عنها هذا ما ساعدهم على اقامة محطات تجارية وسهل عملية التعامل مع مختلف دول العالم القديم.
- اكتشاف المعادن ولاسيما الحديد، فاستعملوا المسمار الحديدي الذي حل محل الوتد الخشبي فصنعوا سفنا أقوى وأخف.
- طبيعة الفينيقيين وحبهم للمغامرة والملاحة.
- **المبادلات التجارية الفينيقية:** لم تكن التجارة الفينيقية تجارة بحرية فحسب، بل قامت أيضا على الطرق البرية عن طريق القوافل التي وصلت الى اليمن مرورا بمكة عن طريق شرق الأردن ومنه الى حضرموت ثم جنوب العراق وساحل الخليج العربي الى المحيط الهندي، اضافة الى ذلك كانت قوافل الجمال ترحل عبر الصحراء من مصر وبابل وشبه الجزيرة العربية، حاملة مختلف السلع، وقد كان التعامل في البداية يتم عن طريق المقايضة.

تنوعت السلع التي تاجر فيها الفينيقيون، فتمثلت صادراتهم في الأنسجة والملابس الأرجوانية التي اشتهروا بها، الأقمشة، الزجاج، الفخار، النبيذ والخشب، واستوردوا عدة بضائع كالصوف والجلود واللحوم من وسط سوريا، والعسل والحبوب من فلسطين، والتوابل من الشرق الأقصى، والنحاس من قبرص وشبه جزيرة إيبيريا، والذهب من افريقيا.

ب- المظهر الفكري والفني:

❖ **الأبجدية:** يعتبر الفينيقيون أول من اخترع الأبجدية، وكان ذلك في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تتضمن اثنان وعشرون حرفا صامتا ولا تحتوي على حروف العلة، كان لمدينة صور الفضل الكبير في نشرها، ابتداء من القرن العاشر قبل الميلاد، عن طريق التجارة والمستوطنات الفينيقية، التي أسسوها في عدة مناطق من العالم القديم، وقد تبنى الإغريق مباشرة هذه الأبجدية وأدخلوا عليها حروف العلة، كما غيروا الاتجاه من اليسار إلى اليمين، عكس الكتابة الفينيقية التي تكتب من اليمين إلى اليسار، كما استخدمت الأبجدية الفينيقية في أغلب اللغات السامية.

استعان الفينيقيون في وضع أبجديتهم بالكتابتين السومرية والهيروغليفية المصرية، ثم طوروها مع مرور الزمن، فقد كانت في البداية تكتب على ألواح من الطين أو الفخار مثل الألواح التي كشف عليها برأس شمرا، وفيما بعد كتبت على أوراق البردي المصرية، وقد ساهم في نشرها "قدموس الصوري"، ومن أقدم الكتابات التي كتبت بالأبجدية الفينيقية منقوشات قبر الملك أحيرام.

❖ **اللغة:** تطورت اللغة الفينيقية من الكنعانية وهي من اللغات السامية الشمالية الغربية مثل الأوغاريتية والعبرية وسائر اللهجات الأرامية، غالبا ما يتكون فعلها من ثلاثة أحرف، وتتفق مع اللغات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد، والخطأ في النطق في كلماتها، وهناك شبه كبير بين العبرية والفينيقية لذلك يعتقد بعض العلماء أنهما مشتقتان من الكنعانية.

❖ **الأساطير:** تناولت الأساطير الفينيقية كغيرها من أساطير الشعوب القديمة موضوع الخلق، كما نقلت الينا نصوص أوغاريت صراعين قادهما الاله "بعل" إله الخصوبة والزرع الذي رمز له برمز الثور ضد أعدائه وأعداء البشر، فكان الصراع الأول بينه وبين الاله "يام" اله البحر الذي يتسبب في حدوث عواصف مدمرة خاصة بالنسبة للبحارة، والصراع الثاني ضد الاله "موت" اله الذي يرمز الى شدة الحرارة والجفاف في فصل الصيف. كما نجد ضمن الأساطير الفينيقية كذلك أسطورة أدونيس الذي صارعه خنزير وتركه جثة هامدة، لتنتشله الالهة عشتروت من عالم الأموات، وكان الفينيقيون يقيمون الحفلات الدينية في أول الربيع يوم قيامة أدونيس من عالم الأموات، فهذه الأسطورة كذلك ترمز الى الطبيعة والخصوبة.

❖ هذا، وقد برز الفن الفينيقي في بعض النصب المنقوشة الصغيرة والضخمة التي أقيمت على شرف الآلهة، كشف عنها في جبيل وأوغاريت، وكذلك في بعض المسلات وتحف من الذهب والفضة والبرونز والخشب التي عثر عليها في بعض مستوطناتهم كقبرص، ومن الانجازات الفنية الفينيقية الرائعة هي منحوتات القبر الضخم للملك أحيرام ومسلات أوغاريت وأوزان من البرنز بشكل ثيران وكذلك صحون فضية تبرز أسطورة أدونيس.

ج- المظهر الديني:

يتبين من خلال نصوص أوغاريت أن العقيدة الفينيقية تقوم في جورها على أساس تقديس قوى الخصب والطبيعة مثلها مثل الديانات السامية الأخرى ويمثلها معبودان رئيسيان لهما أسماء متنوعه لكنهما يتمثلان في السماء الأب وفي الأرض الأم، فيسمى إله السماء" إيل" أو "بعل" أو "مولك" أو "أدد" ومعناها السيد أو الاله، وتسمى الهة الأرض "أشيرا" أو "عشتروت" أو "بعلة"، وكان إله السماء هو

الذي يسيطر عل المطر ويبعث الريح ويصنع البرق والرعد، فتقام من أجله الاحتفالات وتقدم له القرابين والتضحيات لأنه هو الذي يتحكم في خصوبة الأرض والزرع.

❖ **الاحتفالات الدينية والقرابين البشرية:** تتفق جميع المصادر التي تناولت الديانة الفينيقية أنهم قدموا أعز أبنائهم على شرف إلههم الرئيسي الذي كان يسمى في حالة هدوئه ورضاه "بعل" وفي حالة غضبه وحدته "مولك" أو "مولخ"، فهو الذي يرسل الأوبئة والظواهر الطبيعية، وهو الذي يسلط الأعداء على البلاد ويهلك الزرع والحرث، ويذكر ديودور الصقلي أن الفينيقيين كانوا يعتبرون فشلهم في الحروب من أثار غضب الاله عليهم، فلا يمن تسكين غضبه ورفع حقده الا بذبائح من النفوس البشرية، فتنحر على مذبح هيكله عشرات بل مئات الأطفال والأسرى حتى يرضى ويبتهج بهذه القرابين، وكانت هذه العملية تتم في جو احتفالي رهيب.

❖ **الحياة ما بعد الموت:** اعتقد الفينيقيون أن الجسد لا تسكنه روح فحسب، وانما يرون أن هناك "نفش" أي نفس، وأن المتوفي لا يفقد عند موته سوى الروح، ويحتفظ في قبره بنفسه بالقرب من جسده التي تحتاج لأن تأكل وتشرب، لكن نادرا ما يدفنون مع موتاهم في القبور أشياء ذات قيمة كبيرة، وقد اقتصر ذلك على بعض ملوك جبيل.

❖ **أشهر الألهة الفينيقية:**

– **إيل:** يترأس مجمع الآلهة وهو سيد الآلهة جميعا وخالق الكون ورمز الحكمة والعدالة والتسامح، يحمل رمز الثور الذي يدل على قوته وقدراته، يظهر في إحدى النصب التي عثر عليا برأس شمرا جالسا فوق عرش في هيئة رجل عجوز ملتحي، ووصفته هذه النصوص بأن اله خامل يفضل الراحة والنوم، لذلك استبدل بالإله بعل.

– **بعل:** ابن الاله إيل حل محل أباه، ويفهم من هذه العبارة صفة لا اسم قصد به الفينيقيون الها معينا، ربما الاله أدد السوري، يختص بالجبال والعواصف، وفي نفس الوقت يختص بالمطر فيجمع بين النقيضين، العواصف المسيئة والمطر النافع المخصب، ارتبطت تسمية بعل بالأماكن والمدن، فنجد مثلا بعل صور أو ببعل أرواد، اشتهر في نصوص أوغاريت بصراعاته خاصة ضد الالهين موت ويام.

– **داغون:** ابن الاله إيل تعدى في الشهرة مرتبة أبيه، مهمته السهر على المجاري المائية يبشر بالمطر، تضاءلت شهرته فيما بعد.

- **ملكارت:** ومعناها ملك أو اله المدينة، فهو اذن صفة حلت محل اسم أطلق على إله صور، تعززت عبادته أيام الملك أحيرام فبنى له هيكلا ضخما، هو اله الشمس في الأصل، ولما نشطت الحياة البحرية في صور لقب بإله البحر أيضا وانتشرت عبادته باتساع نفوذ صور حتى وصلت الى قرطاجة.
- **رشف:** اله البرق والضوء، ومعبده في جبيل.
- **أدون:** أو أدونيس الشاب، عبد في جبيل ثم انتقلت عبادته الى كل فينيقيا، إله زراعي يمثل الخصوبة التي تحي وتقوى في فصل الربيع وتموت في فصل الصيف.
- **موت:** اله محارب واله الموت والجحيم.
- **عشتار:** أو أشير، زوجة إيل وعشيقة أدونيس، إلهة الخصوبة والحب والجمال، أقيم لها معبدا في كل فينيقيا ومستعمراتها، وعبدت في قرطاجة باسم تانيت، وظهر اسمها في أسطورة أدونيس.
- **أناة:** شقيقة بعل، إلهة الحرب، عبدها المصريون باسم إينتا في عهد رمسيس الثاني، ظهر اسمها في نصوص أوغاريت في صراع بعل ضد موت.

المحاضرة رقم09: التوسع والمواجهة في جنوب غرب أسيا (الحروب الميدية)

تمهيد

1. التعريف بالميديين
2. مجالهم الجغرافي
3. أسباب الحروب الميدية
4. المراحل:
   أ. المرحلة الأولى
   ب. المرحلة الثانية
5. النتائج

تمهيد:

لقد أدى توسع الفرس في جنوب غرب أسيا، وسياسة نظام حكم الطغاة التي استخدموها في دويلات المدن اليونانية الى اندلاع ما يعرف في التاريخ "الحروب الميدية".

1. التعريف بالميديين:

إن المعلومات الواردة عن هذه القبائل محصورة فيما ذكرته المدونات الأشورية بالدرجة الأولى، والأخبار التي ذكرها هيرودوت بالدرجة الثانية، وكذلك المعلومات التي دونها الملوك الأخمينيين اللاحقين للفترة الميدية. واستنادا الى هؤلاء فان الميديين هم أحد الموجات السكانية التي تداولت نوعا من اللغات الهندية – الأوروبية، جاءت ضمن الهجرات الواسعة لهذه القبائل، ودخلت بلاد إيران في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، أو مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

2. مجالهم الجغرافي:

يمكن تتبع من خلال بعض الدراسات حدود الميديين الجغرافية واستقرارهم في إيران، إذ شملت مواقع سكناهم بمعناه الواسع الأراضي الواقعة شمال نهر أراس وجبال البورز، كما سكنوا باتجاه غرب سلسلة جبال زكروس، فضلا عن ذلك فقد استمر الميديون في اندفاعهم، اذ وصلوا الى حدود أصفهان على مشارف بلاد عيلام، غير أن العيلاميون تمكنوا من صدهم.

اشتهر الميديون في التاريخ القديم بقدراتهم الحربية وتمرسهم في القتال، على الرغم من أن مملكتهم لم تدم زمنا طويلا، ذلك أنه كان لهؤلاء القوم الأريين تراث في القتال والفروسية منذ أن كانوا يجوبون سهوب أوراسيا، وقد كان للحروب الميدية في الشرق الأدنى القديم في الألف الأول قبل الميلاد صدى في العالم القديم، أدى الى اقتران ذكر الميديين بالحروب، وخصوصا في كتابات المؤرخين الاغريق والكتابات الأشورية.

1. أسباب الحروب الميدية:

- التوسع المستمر للإمبراطورية الفارسية نحو الغرب، فقد ضمت في أيام داريوس أراضي شاسعة تمتد من الهند الى بحر إيجة.
- جهود الأرستقراطية الفارسية في اخضاع واستغلال الشعوب المجاورة وإلحاق الأراضي والعبيد.

- عندما تولى داريوس الحكم وأصبح ملكا فرض على المستوطنات الاغريقية في أيونيا بدأ في التدخل في شؤونها الداخلية والتوسع على سواحل جسر "أوكسن" (Euxin) الشيء الذي أزعج "ميلي" (Milet).
- وفي عام 499 ق.م ثارت المدن الأيونية الأسياوية والتي سرعان ما تركتها لوحدها وعادت الى أراضيها، فقام داريوس بمعاقبة المدن الثائرة واستولى على مدينة ميلي، بعد ذلك قرر الانتقام من أثينا واتروريا ضنا منه أنه سيتغلب على الاغريق بكل سهولة، فقرر شن حملة لغزو بلادهم.

2. المراحل:

أ. المرحلة الأولى من الحرب (معركة الماراطون):

أبحرت القوات الفارسية لغزو يلاد الاغريق، وفي طريقها استولت على "ناكسوس" (Naxos) التي دمرها عن أخرها، بعدها استولت على "أرتريا" (Ereterie)وحولت سكانها الى عبيد، ثم وصلت الى أتيكا (Attique) وعسكرت قواتها في سهل الماراطون بالقرب من سواحل البحر، وقد دبّ الخوف والقلق في صفوف الأثنيين الذين طلبوا المساعدة من اسبرطة، الا أن هذه المساعدات تأخرت في الوصول، وبعد ذلك قررت مدينة "ملتراد"(Miltrade)الدخول في الحرب ومواجهة الفرس.

في هذه الظروف واجه الأثينيون وسكان بلاتيا القوات الفاريسية في معركة الماراطون عام 490 ق.م وحققوا النصر، فاضطر الفرس للعودة الى أسيا الصغرى، وبعد نهاية الحرب وصلت المساعدات الاسبرطية متأخرة.

ب. المرحلة الثانية من الحروب الميدية(480-479):

لم تبعد معركة المراطون الخطر الفارسي عن بلاد الاغريق، فبعد انهزام الفرس عملوا على تجديد قواتهم، وبدأ داريوس ثم ابنه "كسيرسيس" (Xerces) في اعداد حملتين برية وبحرية تتضمنان قوة كبيرة لم يسبق للإغريق أن شاهدوها من قبل، فاحتاجت أوروبا وكان على رأسها كسيرس نفسه، ومن جهة الاغريق فقد كانت أثينا هي الوحيدة من كانت تستعد لخوض هذه المعركة. وبأمر من "ثموستكل" (Themistocle) بنى الأثينيون سفينة ب 200 مجذاف، ومع تقدم القوات الفاريسية اتحدت القوات الاغريقية تحت صف واحد، وأسندت القيادة للإسبرطيين، الا أن معظم المدن الاغريقية فضلت الحياد، ومنها حتى من انضمت الى الفرس.

- **معركة سالامين:**

في عام 480 ق.م اجتاز القائد الفارسي كسيرسيس "الهلسبون" ووصل الى "تراقيا "، وقد كان بإمكان الاغريق تطويق القوات الفارسية بترموفيل (Thermopyles)، الا أن جماعة البيلوبونيز فضلت الانسحاب نحو برزخ كورنثا، فتمكنت القوات الفارسية من هزيمة القوات الاغريقية المتواجدة بممر ترموفيل والتي كانت بقيادة "ليونيداس" وأبادوهم عن أخرهم.

بعد هذا الانتصار الذي حققه الفرس زحفوا نحو "أتيك"، فاضطر الأثينيون هجرة مدينتهم أثينا وعسكروا فوق جزيرة "سلامين"، وفي هذه الأثناء قام الفرس باشعال النيران وحرق مدينتهم، وعسكروا بالقرب من شواطئ جزيرة سلامين، واشتبكت القوتين، لكن معظم السفن الفارسية لم تتمكن من عبور المضيق الضيق، مما أدى الى انهزام القوات الفارسية في هذه المعركة، واضطر كسيرسيس الى العودة الى أسيا، فحرر الاغريق المستوطنات الأسياوية التي كانت تحت سيطرة الفرس.

3. النتائج:

- تعتبر هذه الحروب بالنسبة للإغريق رمز الكفاح والدفاع عن وطنهم، مما أدى الى ظهور روح القومية الاغريقية من جهة، ومن جهة أخرى تقوية مقوماتهم الحضارية الموحدة وتمتينها.
- تعتبر الحروب الميدية بالنسبة للأثينيين مكسبا عظيما، وبداية لنفوذهم السياسي والحضاري.
- بالنسبة للفرس هذه الحروب لم تضيف الجديد لكيانهم السياسي، بل تراجع نوعا ما.

المحاضرة رقم 10: النزاع الفارسي المصري –حروب البيلوبونيز

أولا. النزاع الفارسي المصري

1. أسباب الغزو والعوامل المساعدة
2. سير الغزو

ثانيا. حروب البيلوبونيز

1. أسباب الحروب
2. مراحل الحروب

أ.المرحلة الأولى (حرب أرشدموس)

ب. المرحلة الثانية

أولا. النزاع الفارسي المصري:

وقع الغزو الفارسي لمصر في أوائل عهد الفرعون بسماتيك الثالث، أخر ملوك الأسرة السادسة والعشرون، وكان الملك الفارسي قمبيز بن قورش يعد له العدة من قبل، ولما أخضع دويلات في أسيا الصغرى، وبعض الجزر اليونانية، وجمع جيشا جرارا في أسيا، شن حملة على مصر.

1. أسباب الغزو والعوامل المساعدة:

- تراجع قوة مصر منذ عهد ملكها بسماتيك الأول، بسبب الانقسامات الداخلية من جهة، وانغماس ملوك الأسرة السادسة والعشرون في الترف من جهة أخرى.
- تضاعف وازدياد نفوذ الفرس، ونمو أطماعهم في غزو مصر واستغلال خيراتها.
- ضعف روح القومية في الجيش المصري بسبب استعانة الدولة بالجنود المرتزقة.
- تعرض مصر للخيانات التي تألبت عليها، وسهلت الطريق أمام الفرس لغزوها، كخيانة اليهود الذين اتفقوا مع قمبيز ليتخذ من بلادهم قاعدة للانقضاض على مصر، وكذلك خيانة "فانيس" الذي كان رئيسا لفرقة من الجنود المرتزقة في الجيش المصري الذي خان عهده لمصر، وفر الى معسكر الأعداء، وكذلك خيانة البدو في جزيرة "سيناء" الذين وفروا الماء والمئونة لقمبيز وجيشه، وساعدوه على العبور الى مصر عبر الصحراء.

2. سير الغزو:

تحرك الجيش الفارسي باتجاه الحدود المصرية ماراً بفلسطين، وأرسى أسطوله في ميناء عكا، ثم اتخذ مدينة غزة قاعدة انطلاق الغزو على مصر، وعند بلوغه مدينة "بلوزيوم (الفرما) اندحر الجيش المصري وسقطت المدينة في يد الفرس، وأعقبها اقتحام مدينة "عين الشمس"، ثم "منف" عام 525 ق.م، أما بسماتيك فقد عفا عنه، غير أن الفرعون السابق حاول اثارة المصريين ضد الفرس، لذلك لم يتوان قمبيز في قتله، وانهاء حكمه الذي لم يتعدى أكثر من ستة أشهر، وبمقتل بسماتيك الثالث ينتهي عهد الأسرة السادسة والعشرين، وهكذا اغتصب قمبيز العرش، وأسس الأسرة السابعة والعشرين والتي تمثل مرحلة الاحتلال الفارسي لمصر.

أعد قمبيز جيشين خرجا من طيبة، أحدهما قاده بنفسه لاحتلال النوبة، لكنه مُني بهزيمة نكراء، والثاني توجه نحو الصحراء الغربية، وكان مصيره أسوأ من مصير الجيش الأول، حيث هلك جميع جنوده بعد العاصفة القوية التي ضربت بهم. لم يبقَ قمبيز طويلًا بعد إخفاقه في فتح النوبة وسيوة،

وعاد أدراجه إلى فارس، فمات في الطريق سنة 522ق.م، وقيل إنه مات منتحرًا، إذ كانت تصيبه نوبات عصبية، ليخلفه ابنه "داريوس".

ثانيا. حروب البيلوبونيز:

جرت حروب البيلوبونيز بين قوتين متناحرتين، وهما أثينا البحرية والجامعة البلوبونيزية، شملت هذه الحروب تقريبا كل اليونان، وحتى بعض الدول الأخرى مثل مقدونيا، تراسيا وإيران، فيشير المؤرخ ثوسيديد أن هذا النزاع أثار حركة بين أغلب الشعوب وأنه كان الأعمق من كل ما سبق. فتناحرت الحياة الاجتماعية والسياسية في الدول اليونانية، ودخلت في أزمة حادة.

1. أسباب الحرب:

أ. أسباب الغير مباشرة:

- بروز دولة أثينا كإمبراطورية بحرية كبيرة ومحاولة بسط نفوذها على كل اليونان القارية.
- طمع اسبرطة في نجاحات أثينا ورغبتها في منافستها.
- تطاحن كلا الطرفين حول وسط اليونان.
- التزاحم التجاري بين أثينا من جهة وكورنثة وميغارا اللتان أصبحتا جزء من الجامعة البيلوبونيزية وعدوتا أثينا.

ب. الأسباب المباشرة:

- تدخل أثينا في صراع كورنثا وكورسير ومساندتها لهذه الأخيرة، فكانت النتيجة الأساسية لهذا الدعم انضمام كورسير الشهيرة بثرواتها وأسطولها الى الاتحاد البحري الأثيني.
- منع أثينا ميغارا حليفة كورنثة من عبور مرافئ الاتحاد الأثيني، الأمر الذي أنزل بتجارة كورنثا ضربة قاسية.
- استغلت اسبرطة المزاج القتالي لحلفائها، وأرسلت إنذارا نهائيا الى أثينا باسم الجامعة البيلوبونيزية.
- رغبة أثينا الملحة بزعامة بريكلس لإعلان الحرب جعلها تضرب عرض الحائط انذار مبعوث اسبرطة، مما سيؤدي الى اشعال نيران الحرب.

2. **مراحل الحروب:** مرت حروب البيلوبونيز بمرحلتين:

أ. **المرحلة الأولى (حرب أرشدموس):**

سميت المرحلة الأولى بحرب أرشدموس نسبة لاسم ملك اسبرطة، بدأ النزاع باعتداء الاتحاد البيوتي على بلاتيا حليفة أثينا واحتل العدو المدينة، ومنذ ذلك الوقت بدأ تدخل البلوبونيزيين بقيادة أرشدموس بغارات مدمرة على أتيكيا، فدمر الغزاة المحصول واقتلعوا الزيتون والكروم ونهبوا البيوت، وفي هدا الوقت كان الأسطول الأثيني يعمل في البحر ويسبب النكبات للبيلوبونيزيين، فدمروا السواحل وشلوا التجارة الكورنثية، وبقي الأثينيون لبعض الوقت متفوقين.

لكن أوضاع الأثينيين في أثينا راح يسوء يوم بعد يوم خاصة سكان الريف الذين تراجعت أوضاعهم، فنزحوا الى المدينة التي أصبحت تعج بالسكان، مما زاد من غضب الشعب ضد بريكلس صانع الحرب الذي لم تكن تهمه سوى مصالحه الشخصية وخططه الحربية.

تفاقم الوضع في أثينا وانتر الطاعون بسرعة ونادى الشعب بوقف المعارك، رغم محاولات بريكلس بإقناعهم، وفي 430 ق.م لم يجدد انتخاب بريكلس ومات بالطاعون في العام نفسه، وانقسم الشعب الى قسمين: راديكاليين ويتمثلون في سكان المدينة وتزعمهم "كليون"، والمحافظين الذين يتمثلون في سكان الريف بزعامة "نيسياس".

لقد خاض الحزب الراديكالي بقيادة "كليون" الحرب بجرأة كبيرة، وشن الأثينيون عمليات في البر والبحر، فاحتلوا "بيلوس" الجهة البحرية من مسينا وبدأوا في تحريض فقرائهم للانتقال الى حزبهم، فسارع الاسبرطيون لإنقاذ الموقف، فجرى صراع مرير بينهما، تفوق فيه الأثينيون وفرضوا الاستسلام على الاسبرطيين، وعاد كليون الى أثينا مكللا بالمجد، احتل المرفأ الميغاري وأرسل حملة الى سيسليا، لكن هذه العمليات كانت تتطلب نفقات كبرى، مما أدى الى رفع الضرائب على أعضاء الاتحاد، مما كان شؤما على الدولة الأثينية التي بدأت تفقد حلفاءها واحدا تلو الأخر. اغتنم الإسبرطيون هذا الوضع وحاولوا تفكيك حلفاء أثينا وزرع البلبلة في أوساطهم، ونجحوا في ذلك، فتمردت على أثينا مدن "شلسديك" وغيرها وانتقلت المستعمرات الأثينية الى العدو(اسبرطة).

أثارت الهزائم العسكرية الراي العام الأثيني ضد حزب الحرب ووسعت نفوذ حزب الصلح الذي انعقد عام 421 ق.م، فعوض الرمح الملعون بالمعول لغرس الكروم والزيتون. ان اهمال مصالح

الفلاحين وبعض الحلفاء كان السبب الرئيسي في هزيمة الديمقراطيين الأثينيين طيلة المرحلة الأولى للحرب.

ب. المرحلة الثانية:

رغب بعض الأثينيين في مواصلة الحرب، وكان ضمنهم "ألسبياد" الذي اكتشف شعبية لا مثيل لها في وسط أثينا، بنى ألسبياد سياسته على مشروعات الفتوحات الواسعة واحتلال مناطق غنية بالقمح غرب البحر المتوسط مثل "سيسيليا"، وافق على هذا المشروع الأثينيون المتحمسون لتوسع الطامعين بثروات هذه المنطقة، ورغم معارضة خصوم ألسيباد لكنه حصل على الموافقة بتنظيم حملة على سيسيليا وتجهيز أسطول ضخم.

لكن الصراع المرير بين الأحزاب في أثينا انعكس شؤما على مسار الحملة، فعشية الانطلاق مُزقت صور الاله هرس حامي المسافرين الموزعة على مفارق الطرق، وقد اعتبر هذا نذير شؤم، واتهم معارضو الحملة ألسبياد أنه الفاعل، وألحوا على احالته الى القضاء، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى غايتهم في الحال لأنهم خشيو القوات المخلصة لألسبياد.

ما ان وصل الأسطول سيسيليا حتى بدأ السبياد العمليات القتالية، لكن باخرة تصل وتحمل معها أمر عودته الى أثينا ليقاظى، حيث اتهم بالتأمر على الديمقراطية، لكنه في الطريق فرّ الى اسبرطة، فأدى هذا الى تفكك الجيش وانتشار الفوضى. وبعد رحيل ألسبياد، استلم " نيسياس" القيادة العليا، أبحر هذا بنجاح الى مدينة سيراكوزة حاصر أولا المدينة، وتفوق على القوات الاسبرطية والسيراكوزية، لكن وصول القوات من إيطاليا والبلوبونيز زادت من قوة سيراكوز على المقاومة، وتراجعت القوات الأثينية وقررت الانسحاب الى أثينا، لكنهم حوصروا، فاضطروا الاستسلام للعدو، واتهت حملة سيسيليا الى نكبة رهيبة دُمر فيها الأسطول والجيش.

خضع الأثينييون في أوتيكا الى نازلة شنعاء، كان الأسبرطيون قد احتلوا "ديسيليا" المركز الاستراتيجي الواقع شمال شرق أثينا، ولقد تصرف العدو هكذا بناءً على الحاح ألسبياد الذي بعد أن لجأ الى اسبرطة رغب في الثأر على أعدائه، أدى تدمير اسبرطة لأثينا الى ضعف اقتصادها وتراجع هيمنتها الحربية.

لقد أدت النكبات التي ضربت أثينا الى محاولة الأوليغارشيين أعداء الديمقراطيين الى قلب النظام الديمقراطي، وقد نجحوا في ذلك وقاموا بتعذيب واضطهاد الديمقراطيين بدون رحمة، لكن بعد أربعة

أشهر سقط النظام الأوليغارشي، فاستدعي ألسبياد للعودة الى الوطن ونجح في استعادة النظام الديمقراطي، كما استعاد بعض نفوذ أثينا في البحر وبعض المدن التي انفصلت عنها.

لكن اسبرطة واصلت في تعزيز وضعها وقواتها عن طريق المساعدات التي كانت تأتيهامن أسيا الصغرى، كما عملت على خلق صراعات داخل أثينا بين الديمقراطيين والأوليغارشيين، مما أدى الى تراجع سلطة ألسبياد الذي اضطر الى الانسحاب الى فارس حيث قتل في الطريق.

لقد نتج عن الصراع بين الأحزاب في أثينا الى تقلبات في سياستها الداخلية والخارجية مما أدى الى انهزام أثينا في المعارك الموالية (معركة الأرغنوز ومعركة قرب أغوس عام 405 ق.م)، وخسروا كل أسطولهم تقريبا، وحاصر البلوبونزيون الأثينيون برا وبحرا، فاضطر هؤلاء الى الاستسلام عام 404ق.م، وعقد صلح بشروط قاسية على الأثينيين نصت على ما يلي:

- تسليم أثينا كل أسطولها عدا 12 حارسا.
- هدم التحصينات الأثينية.
- حل الاتحاد البحري.
- دفن الديمقراطية.

وهكذا تقننت الطاقة القتالية الأثينية، وغاب نجم الديمقراطية اليونانية وعاد النظام الأوليغرشي الذي حكم بالاستبداد، لكنه لم يدم أكثر من ثمانية أشهر، حيث نجح الديمقراطيون في ابعاد الأوليغارشيين وعودة الديمقراطية الأثينية تماما بأشكالها السابقة، لكنها فقدت كل أسباب وامكانيات أن تصبح القوة السياسية المسيطرة والعامل الرئيسي في توحيد اليونان.

المحاضرة رقم 11: حضارة مصر الفرعونية (التاريخ السياسي)

تمهيد

1. الموقع الجغرافي لمصر
2. طرق دراسة تاريخ مصر القديم
3. التاريخ السياسي لمصر:
   أ. عهد الدولة القديمة
   ب. عهد الدولة الوسطى
   ت. عهد الدولة الحديثة
4. نظام الحكم والإدارة

تمهيد:

تعد الحضارة المصرية من بين أقدم الحضارات الإنسانية، وللبحث في شؤون الحضارة المصرية الفرعونية وأهم مجالاتها، علينا العودة الى مجموعة من المصادر التي استقى منها الباحثون معلوماتهم، والتي تتمثل في الأثار التي خلفها المصريون القدماء، حيث تضم مصر ثلث الأثار العالمية، وكذا الكتابات والنقوش القديمة، وكتابات المؤرخين القدامى.

1-الموقع الجغرافي لمصر:

تحتل مصر موقعا استراتيجيا هاما إذ تقع عند ملتقى ثلاث قارات: أسيا وإفريقيا وأوروبا، وتتكون من واد ضيق محصور بين سلسلتين جبليتين هما سلسلة جبال الغرب بالجهة الشرقية وسلسلة جبال ليبيا بالجهة الغربية، ويحدها من الشمال البحر الأبيض التوسط، ومن الشرق فلسطين وخليج العقبة والبحر الأحمر ومن الغرب ليبيا، ومن الجنوب السودان وتبلغ مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع معظمها صحاري.

ويعتبر وادي النيل الذي يصل طوله الإجمالي حوالي 6700كلم، من أهم المظاهر الطبيعية في مصر وشريانها وقلبها النابض، فعلى ضفافه ازدهرت الحضارة المصرية التي قال عنها هيرودوت "مصر هبة النيل" ويمتد هذا النهر في مصر على نحو 1530كلم، ويتراوح عرضه ما بين 12 و30 كلم، وقد انتعشت بعض المدن التاريخية على ضفافه، كممفيس وطيبة وغيرها. ولاتزال أهمية النيل في صلب الحياة الاقتصادية والثقافية والسياحية المصرية الى يومنا هذا.

2-طرق دراسة تاريخ مصر القديم: توجد ثلاثة طرق لدراسة التاريخ المصري القديم:

أ. الطريقة الأولى:

تعود إلى الكاهن المصري الكبير منتون (Manéthon) الذي كتب في القرن الثالث قبل الميلاد بأمر من الملك بطليموس الثاني، تاريخ مصر باللغة الإغريقية وقسمه حسب عدد الأسرات الملكية التي بلغت 31 أسرة تبدأ من أسرة الملك نعمر مينا وتنتهي بالإسكندر الأكبر في 332ق.م، ويعتقد المصريون أن الملك اختارته الآلهة وقامت بتتويجه ومن ثم فقد كان هو الكاهن الأكبر وحامل التاجين الأحمر والأبيض لمصر العليا والسفلى.

ب. الطريقة الثانية:

تتمثل في تقسيم مصر الفرعونية التي ثلاث فترات رئيسية هي: الدولة القديمة التي تمتد من حوالي 2786ق.م إلى 2280 ق.م والدولة الوسطى التي تبدأ تاريخها من حوالي عام 2134ق.م وينتهي في 1778 ق.م والدولة الحديثة التي يرجح أن فترتها ما بين عام 1570ق.م و1080ق.م.

ج. الطريقة الثالثة: قسم فيها الخبراء تاريخ مصر الفرعونية إلى سبع فترات هي:

1. العصر الثني نسبة إلى تنية أو ثنى (Thinis) القريبة من أبيدوس.
2. الدولة القديمة.
3. الفترة الانتقالية الأولى أو عصر الاضمحلال الأول.
4. الدولة الوسطى.
5. الفترة الانتقالي الثانية أو عصر الاضمحلال الثاني.
6. الدولة الحديثة.
7. الفترة المتأخرة.

3. التاريخ السياسي لمصر:

اعتمدنا في هذا الدرس على الطريقة الثانية فكان تقسيم التاريخ المصري السياسي كما يلي:

أ-عهد الدولة القديمة:

لما وحد مينا الدولة المصرية عمل على تأمين حدودها، لذلك دخلت مصر في حروب مع كل من الليبيين (الغرب) والأرامين (الشرق) والنوبيين (الجنوب) وأدت هذه الحروب الى ضعف السلطة المركزية ولم يتحقق الاتحاد الحقيقي إلا في عهد الأسرة الثانية التي جعلت من مصر دولة قوية، واتخذت الأسرة الثالثة "منف" عاصمة لها، وتقوت بصورة أكثر في عهد الأسرة الرابعة، وتتضح لنا قوة هذه الأسرة في الأهرامات التي شيدها الفراعنة في الجيزة، وأشهر فراعنة مصر القديمة هو، "مينا" والفراعنة الثلاثة، خوفو، وخفرع، ومنقرع وبعد الأسرة الرابعة أخذت مصر في الضعف، واتضح ذلك بصورة خاصة في عهد الأسرة السادسة، بحيث عجز الفراعنة عن إعادة الأمن إلى البلاد بل أصبح الولاة المحليون

يتصرفون كل في ولايته وكأنه مستقل عن السلطة المركزية، إلى أن تمكن أحد أمراء طيبة من جمع السلطة بيده، وذلك بعد أن قضى على فراعنة الأسرة العاشرة.

ب-عهد الدولة الوسطى:

تمكن ملوك (فراعنة) الأسرة الحادية عشر من إعادة البلاد إلى ما كانت عليه من وحدة وارتباط بالسلطة المركزية، لكن نفوذ الأمراء في ولاياتهم لم يقض عليه نهائيا إلا في عهد أمنمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشر الذي قام بإصلاحات عديدة ساعدته على تدعيم أركان دولته في الداخل، وتعزيز نفوذها في الخارج، وكذلك فعل من بعده ابنه سنوسرت الأول الذي تقدمت في عهده البلاد، وقامت فيها نهضة فنية كبيرة من أشهر آثارها المسلة المشهورة بالمطرية، التي وجدت في عين الشمس، لكن في عهد الأسرة الثالثة عشر تعرضت البلاد إلى غزو الهكسوس (ملوك البدو) وهم قوم رعاة جاءوا من آسيا وتمكنوا من الاستلاء على مصر، وبالرغم من طول مدة حكمهم ومحاولاتهم المتعددة للسيطرة واحتلال مصر فإنهم لم يصلوا إلى غرضهم بل أن الكثير منهم تأثر بالحضارة المصرية، أما المصريين فقد اعتبروهم محتلين وبذلوا مجهودات متواصلة لطردهم من بلادهم إلى أن تمكن أخيرا أحد أمراء طيبة "أحمس الأول" مؤسس الأسرة السابعة عشرة من طردهم وتوحيد البلاد (مصر) تحت سلطته، وأسس الإمبراطورية الحديثة والدولة الحديثة.

ج. عهد الدولة الحديثة:

قام أحمس الأول أحد فراعنة مصر، فجمع شمل المصريين وحارب الهكسوس وأخرجهم من مصر، ثم تبعهم إلى سورية الجنوبية ثم زحف بعده تحتمس الأول واستولى على سوريا ووصل إلى نهر الفرات وكذلك فعل من بعده أمنحتب الأول مع الليبيين والساميين، لكن وفاة زوجته أدت إلى تنافس على الملك وانتهى بتولية حتشبسوت العرش، لكن البلاد توسعت إلى أن بلغت نهر الفرات، عند حدود الحيثيين في عهد تحتمس الثالث، ثم أعقبه عدة فراعنة أشهرهم رمسيس الثاني الذي رفع من سمعة مصر في الداخل بحسن تنظيمه وفي الخارج بكثرة انتصاراته ورمسيس الثالث الذي اشتهر بكثرة الحروب، لكن تسلط الكهان من بعده أدى إلى ضعف الدولة، ومن ثم تعرضت للاحتلال الأجنبي كالأشوري والفارسي عام 525 ق.م والبطالمة من سنة 332ق م، إلى سنة 30 ق. م فالاحتلال الروماني من سنة 30 ق م إلى سنة 640م حيث تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر سنة 640م.

4. نظام الحكم والإدارة:

كانت مصر في فوضى واضطراب نتيجة التنافس والحروب وتعدد الآلهة ثم أخذت الوحدة السياسية تتحقق شيئا فشيئا، فتطور نظام الحكم فيها حتى وصل مرتبة راقية ويعتمد نظام الحكم على ثلاثة أسس:

أ. فرعون:

تحتل شخصية فرعون المكانة الأولى في مصر، فهو رئيس الدولة والكاهن الأكبر ورئيس القضاة، ورئيس بيت المال ورئيس الجيش وهذا يعني أن الفراعنة هم الرؤساء الفعليين للدولة لاسيما العظماء منهم الذين كانوا يقومون بجولات تفتيشية من حين إلى أخر هذا علاوة على التقارير التي كان يرسلها الولاة وكبار الموظفين من مختلف الولايات.

ب. الوزير:

نظرا لكثرة أعمال فرعون اتخذ بعض المساعدين وعلى رأسهم الوكيل (رئيس الوزراء) الذي كان يقوم في معظم الأحيان بجولات تفتيشية في الولايات، بل كثيرا ما وجهت إليه التقارير باستثناء الخاصة منها التي كانت توجه مباشرة للفرعون، لكن ضعف بعض الفراعنة ساعد بعض الوزراء على الاستبداد والاستيلاء على مقاليد الحكم، ويأتي في الدرجة الثانية بعد رئيس الوزراء كبير أمناء الخزينة (وزير المالية) ومهمة الإشراف على أملاك المعابد والزراعة والضرائب والتجارة.

ج. حكام الأقاليم:

أما في الولايات فكان على كل منها وال يساعده عدة موظفين وهو صورة مصغرة لفرعون وكثيرا ما أصبح الواحد منهم أميرا مستقلا بولايته ولربما يمكن أحد الأمراء من التمرد على السلطة أو القيام بالثورة والاستيلاء على الحكم، وتنتهي إليه الفرعنة من نزوح بالورثة الشرعية.

أما من الناحية القضائية فكانت هناك محاكم تعتمد في الغالب على الأحكام العرفية فعقوبة الخيانة العظمى هي الإعدام، إلا إذا شفع في الشخص فرعون أما الجرائم الصغيرة فعقوبتها تختلف بحسب أهميتها وأقل عقوبة هي الضرب.

المحاضرة رقم 12: مظاهر حضارة مصر الفرعونية

تمهيد

أولا. الحياة الاجتماعية في مصر الفرعونية

1. طبقات المجتمع
2. الأسرة

ثانيا. الحياة الاقتصادية في مصر الفرعونية

1. الزراعة
2. الثروة الحيوانية
3. الصناعة
4. التجارة

ثالثا. الحياة الفكرية والدينية في مصر الفرعونية

1. الفكر المصري
2. العمارة
3. فن النحت
4. الدين المصري

تمهيد:

امتد التاريخ السياسي المصري القديم كما رأينا في المحاضرة السابقة على فترة طويلة ميزها حكم عدة دول وأسرات، وخلال هذه المدة تمكن المصريون من تأسيس حضارة راقية، لاتزال أثارها قائمة ليومنا هذا، تشهد على مدى الرقي الذي حققه شعبها، فما هي مظاهر الحضارة المصرية؟

أولا. الحياة الاجتماعية في مصر الفرعونية:

1.طبقات المجتمع:

كان المجتمع المصري القديم مجتمعا طبقيا كغيره من المجتمعات القديمة الأخرى وهي كما يلي:

أ. الطبقة العليا:

وتضم الفرعون وزوجته والأسرة الملكية والنبلاء والموظفين وقادة الجيش والكتيبة والفنانين إلى جانب الحرفيين، وقد كان الفرعون بمثابة "الملك الإله" والملك الراعي، ذلك لأنه في اعتقاد المصريين بفضله تمطر السماء وبفضل نوره سمو المنتجات الزراعية المختلفة وبإمكانه إلحاق الأذى بأعدائه وإحداث الجفاف في الأرض.

ب. الطبقة العامة:

وهي طبقة الفلاحين والعمال ويمثلون أكبر نسبة في المجتمع المصري، وتتلخص أعمالهم في استغلال أرض الملك وفي صيانة قنوات الري ومقاومة الفيضان وتصريف المياه وحماية المراعي من عمليات النهب التي تتعرض لها من حين لآخر، وكان الفلاحون مطالبون بدفع ضرائب ثقيلة لا تراعي فيها وفرة الإنتاج أو نذرته وتقدر نسبتها بنصف قيمة الإنتاج، ويدفعها الفلاح إلى الخزينة ويحتفظ بالنصف الآخر الذي لم يكن دائما يسد حاجيات الأسرة، وإذا عجزوا عن دفع الضرائب يتعرضون للضرب والطرد من الأرض، لذلك فقد كانت أوضاعهم سيئة.

ج. العبيد:

يحتل العبيد المرتبة الأخيرة في الهرم الاجتماعي، أصلهم إما أسرى الحرب أو ينحدرون من العبيد كالنوبيين والأحباش والأسيويين، ويعود تاريخ دخول العبودية إلى بلدان الشرق الأدنى إلى الألف الثانية

قبل الميلاد، وتكاثر عددهم إبان عهد الدولة الوسطى والحديثة مما دفع بعض الفراعنة كرمسيس الثالث إلى استغلالهم في حماية الحدود والعمل في الأراضي كمزارعين، ومع مرور الوقت تمكن بعض العبيد من الانعتاق ومن اعتلاء مناصب هامة، كما كانت وضعية بعضهم سيئة جدا حيث اشتغلوا في مناجم سيناء والنوبة.

وأمام الأعداد الهائلة للعبيد في مصر كان الحكام يحاولون معاملتهم بالحسن لكسب تأييدهم مع استعدادهم دوما لردعهم عند تمردهم، ولم تتوقف معاناة العبيد في مصور الفرعونية عند هذا الحد وإنما لما كانت الفكرة السائدة تقضي بأن العبيد غير طاهرين فقد أبعدوا عن المعابد، وأكثر من ذلك فقد كانت جثة من يعجز عن دفع مصاريف قبره ترمى في وادي النيل فريسة للتماسيح.

2. الأسرة:

أ. الزواج:

لقد أولى الإنسان المصري كغيره عناية كبيرة بالزواج، ولقد كان لإنجاب الأطفال أهم البواعث على الزواج في المجتمع، وإن كنا لا نعرف جيدا طقوس الزواج عند الفراعنة إلا أنه من المرجح أنه كانت هناك عقود قانونية كما يفهم ذلك من أقوال الحكماء في نصحهم لمن يستمعون إليهم عند الإشارة إلى الزوج بقولهم "لكي يؤسس المرء نفسه بيتا" مما يدل أن هناك اتفاقا من نوع ما أو عهدا يكتب بصورة خاصة.

كان الزواج يتم غالبا في سن مبكرة فالولد يتزوج عادة في سن الخامسة عشر أما البنت فكانت تتزوج في الثانية عشر وكان زواج الأخت قاعدة متبعة ويمنح الوالد ابنته لولده ليتزوج منها، ولقد انتشرت هذه العادة خاصة في الوسط الملكي للحفاظ على الدم، ورغم الزواج المبكر كانت الحالة الخلقية بين الأزواج عادية في معظم الأحيان ما عدا بعض الخيانات الزوجية التي كانت نادرة.

لم يكن النبيل والعظيم ليقتصر على زوجته الشرعية فقط، بل كان يتخذ بعض الجواري فكان له بين الحريم (شأنه في ذلك شأن الملوك)، ولم يكن للحريم حقوق الزوجات الشرعية ولا لأبنائهن وبناتهن ولم تظهرن في الحفلات على قدم المساواة مع الزوجات بل كان مركزهن في المؤخرة دائما.

ب. الميراث:

كان مركز الأم عظيما للغاية لذلك كان الابن ينسب إليها أحيانا لا إلى والده فيضاف اسم الأم بعد اسم الشخص، وكان التوريث في الدولة الوسطى يسير على نظام أن ابن الابنة الكبرى هو الذي يرث لا الابن الأكبر، كما أن جد الشخص من جهة أمه كثيرا ما كان يتوسط لحفيده لنيل الخطوة لدى البلاط أو في الحكومة، ولم يكن الابن ليرث عن أبيه شيئا إلا بعد ان يقرر الملك ومستشاروه ذلك، لكي يوضع كل في مكان والده، ومن جهة أخرى كان يراعى دائما أن يحمي الابن اسم والده وأن يخلده، فهو يشرف على تقديم القرابين له ويحافظ على مقبرته وإبقاء آثارها، لأن المصري كان يعتقد أن زوال اسمه من النقوش هلاك أبدي له.

ج. مكانة المرأة:

احتلت المرأة مكانة مرموقة في المجتمع المصري، وحسب المصادر الأثرية العديدة والمتنوعة مارست المرأة حق الوصاية على العرش عندما يموت الملك ويترك لها ولدا قاصرا كما هو الحال في ظل حكم الأسرة السادسة حين اعتلى العرش الملك بيبي الثاني وهو غلام وكانت أمه وصية عليه، كما حكمت البلاد الملكة حتشبسوت والملكة "تي" والدة أخناتون وغيرهن كما تقلدت المرأة في مصر وظائف هامة ككاهنات أو قائدات جيش أو موظفات ساميات.

د. وسائل الترفيه:

أما عن وسائل الترفيه فكثيرا ما كانت الأسرة تشترك في الخروج مع عميدها في رحلات صيده، ولهوه، فبعض النقوش تبين لنا الرجل واقفا في زورقه وهو يقوم بصيد الطيور أو الأسماك في المستنقعات ومعه زوجته وأولاده وقد يصحبه قط أليف يأتي بالطيور المصابة إلى القارب.

أما بالنسبة للتسلية داخل المنزل فتنحصر في مشاهدة رب المنزل وأسرته لبعض المصارعين وهم يعرضون ألعابهم في مرونة وخفة، ومهارة أو بعض المتبارزين المسلحين بعصى قصيرة، وقد تشاهد الأسرة كذلك عرضا لبعض الفتيات يلعبن بكرات صغيرة ألعابا فيها كثير من المهارة أو يؤدين حركات بهلوانية أو يقمن بالرقص.

لم يقتصر المصريون القدامى على التسلية الرياضية أو مشاهدة فرق المصارعين والراقصين وغيرهم والاشتراك في الحفلات المختلفة، بل كانت لديهم أنواع أخرى من الألعاب واللهو في ذلك مثلا قيام بعض الصبية بلعبة يتكهن فيها أحدهم بمن يضربه وهو راكع لا يرى أيدي زملائه حين يهوي أحدهم على ظهره، كما كان لديهم ألعاب أخرى تحتاج إلى الفكر مثل ما يشبه الشطرنج أو الداما الحالية.

ثانيا. الحياة الاقتصادية في مصر الفرعونية:

تعود خصوبة الأرض المصرية إلى الفيضان السنوي لوادي النيل الذي كون على مر السنين سهولا فيضية غنية بالمواد العضوية، كانت الزراعة في بداية الأمر متوقفة على فيضان النيل وكان الإنتاج وفيرا والموسم الزراعي ناجحا إذا ما فاض النيل في وقته وروى الأرض الزراعية، أما إذا تأخرت عملية الفيضانات فيحدث الجفاف ويقل الإنتاج وتحل المجاعة، ولمواجهة مثل هذه الكوارث وتوفير الماء طيلة السنة، أنشئت السدود وقنوات المياه والخزانات التي تسمح بري الأراضي الزراعية في كل الأوقات، وعندما ينخفض منسوب المياه في وادي النيل يلجا الفلاح المصري إلى رفع الماء بفضل الشادوف الذي مازال مستعملا إلى يومنا هذا، ولكن جهود توفير المياه لم تضع الزراعة في مأمن من بعض الكوارث الطبيعية والتي لا تقل خطورة عن الجفاف، ومن بينها زحف الجراد الذي كان يأتي على الأخضر واليابس وما يخلقه من مجاعات.

1.الزراعة:

كان الجو المصري يساعد على ممارسة الزراعة المختلفة فالجو صحو في معظم أيام السنة وأتاح ذلك للمصري أن يؤدي أعماله بنظام ونشاط، وكان المحراث الذي استعمله المصري عبارة عن سكين خشبي تثبت إليها يدان ومقبضان وعريش طويل تنتهي بنير، وكانت الثيران هي التي تجر المحراث في الدولة القديمة، أما في الدولة الحديثة فقد استعملت البغال كذلك.

طريقة بذر البذور هي نفسها التي لازالت مستعملة إلى يومنا هذا، إذ يمسك الفلاح بسلة مصنوعة من البوص أو القش أو البردي ويلقي بيده البذور ثم يسير الخراف في الحقل لتعزز هذه البذور في التربة وقد تمر الخراف عدة مرات لكي يضمن الفلاح تعزيز معظم الحبوب.

أما الحصاد فكان يتم بمنجل قصير ويستعين الفلاح على العمل في الحقل بعازف الناي أو أحد المنشدين الذين يشجى العمال بألحانه، وكانت التذرية بمذرات ذات ثلاثة أسنان أو كانت الحبوب وما يختلط بها ترفع على لوحات خشب قليلة النقوش.

أما حفظ المحصول فكان يتم بعد أن يقوم كاتب الصوامع والكيال بعملهما حيث كان الكيال يكيل المحصول بينما كان الكاتب يسجل عدد الكيل، وبعد ذلك كان ينقل إلى أهراء كبيرة لحفظه وكانت الصوامع على أنواع، فبعضها من الفخار وبعضها من الخشب وبعضها كبير إلى درجة أنه كان يكفي لاستعمال مدينة أو قرية بأكملها وهي عموما ذات شكل مخروطي وبها فتحة في القمة، أما الاستهلاك فقد كان عن طريق الباب السفلى، وقد عرف المصري من الحبوب القمح ونوعا من الشوفان وأنواع كثيرة من الخضروات والفواكه بالإضافة إلى الورق البردي.

2. الثروة الحيوانية:

اعتنى المصريون بتربية المواشي كالغنم والماعز والجمال والخنازير والبقر من أجل ألبانها ومشتقاتها دون لحمها بسبب قدسيتها، أما الثيران فقد استخدمت في الأعمال الزراعية مثل حرث الأرض ودرس القمح وجر الأحجار الضخمة، وتناولوا لحومها كما اهتموا بتربية النحل والطيور كالبط والإوز كما أولوا العناية لصيد الطيور والأسماك كسمك البلطي والبوري والقرموط والشال.

3. الصناعة:

عرف المصريون تحويل المعادن كصناعة الحدادة والتجارة والنسيج وصناعة الأحذية وصناعة الحلي وغيرها، ورغم ندرة الأخشاب الممتازة فقد قاموا في البداية بتحويل الأخشاب المحلية، فيما بعد استوردوها من فينيقيا كخشب الأرز وجلبوا خشب الصنوبر وغيرها لصناعة القوارب.

من النبات البردي ذات الجودة العالية تفنن المصريون في تحويله إلى لفائف مسطحة يبلغ طولها ما بين 3 و6 أمتار بعد جمع ما بين 30 و40 مترا قاموا بتحويلها إلى كراريس، أما فيما يخص البناء فقد سمحت وفرة الأحجار كالرخام والمرمر والحجر الجيري وحجر البازلت وغيرها في استعماله في العمارة كالأهرامات وصناعة المزهريات وبعض التحف، واعتمدوا على الطين لصناعة الأواني المنزلية، وكذلك تحويل الجلود إلى أحذية، وصناعة الكتان، والحلي خاصة الذهبية المرصعة بالمرجان والعاج فضلا عن الأحجار الكريمة.

4.التجارة:

بعد أن كانت الصخور تعترض مجرى نهر النيل وتجعل الملاحة غير صالحة في منطقة الشلال الأول بأسوان، قام الملك "ويني" بحفر مجموعة من القنوات حولها بهدف تسهيل سير السفن النهرية والتبادل التجاري بين مصر وبلاد النوبة السفلى والعليا.

لم تقم التجارة في مصر على المقايضة كما يعتقد البعض بل استعملت منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حلقات من الذهب تسمى شات (Shats) تزن كل واحدة حوالي 7.50 غرامات أما في بداية عصر الدولة القديمة فقد ظهرت مسكوكات تعرف باسم دبن (Deben) تصل قيمتها 12 شات.

أ. الصادرات:

كانت مصر تصدر الأقمشة المصنوعة من الكتان والأدوات الفخارية والزجاجية والعاجية والنحاسية والحديدية ولأسماك المجففة فضلا عن ورق البردي.

ب. الواردات:

تتمثل واردات مصر في العاج والبخور والصمغ وجلود الفهود والأسود والذهب وريش النعام الذي كان يرد إليها من النوبة وأخشاب الأرز من فينيقيا، والنبيذ والزيت من جزيرة كريت كما استوردت النحاس من آسيا الصغرى، أما التوابل والبخور والمواد الثمينة فمن شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وزيت الزيتون من شمال إفريقيا، النباتات العطرية وأخشاب الأبنوس والجوز من الصومال، وحتى عهد الدولة الحديثة ظلت مصر تستورد الذهب والفضة والأحجار الكريمة والخيل والحاشية والأسلحة والآلات الموسيقية إلى جانب الزيت والنبيذ والبخور من سوريا.

ثالثا. الحياة الفكرية والدينية في مصر الفرعونية:

1. الفكر المصري:

أ. الكتابة:

إن الكتابة المصرية التي يسميها اليونان الهيروغليفية –الصور المقدسة–مشتقة من النقر والتصوير في الأزمنة البدائية فأقدم كتابة مصرية كانت تقرأ تصويرها، كل شارة مرسومة تشمل مفهوما، وربما

جملة قصيرة، ولقد استمرت الكتابة الهيروغليفية في مصر حتى نهاية تاريخيها القديم، لكن الرسم تبدل شيئا فشيئا فإلى جانب الحروف الأولية ظهرت حروف أخرى مبسطة سهلة الكتابة ومنذ الإمبراطورية القديمة وجدت كتابة سماها اليونان الهيروطيقية، وفي القرن الثامن قبل الميلاد ارتقت وتحولت إلى كتابة معروفة باسم يوناني "الديموطيقية".

كانت الكتابة المصرية القديمة معقدة كالمسمارية البابلية كانوا يكتبون على الحجر، الخشب، الورق والقماش، لكن المادة الأكثر رواجا كانت البردي المصنوعة من سيقان أو جذوع النخيل الذي ينمو على ضفاف النيل.

ب. الأدب:

إن الكتابات في الإمبراطورية القديمة أساسا دينية وتحتوي خاصة نصوصا سحرية منقوشة على جدران الأهرامات، الأقبية، والقبور، يجب الاعتقاد أنه منذ ذلك العهد رتبت وكتبت طقوس الأسرار التي تلعب في أعياد أوزريس والآلهة الأخرى على شرف كبار الآلهة، تعود النصوص والألحان التي وصلتنا إلى الامبراطوريتين الوسطى والجديدة، أحسنها نشيد ولحن أمون وأتون، كتبهم أخناتون، وفي عهد الإمبراطورية الجديدة يدبج كهنة المعابد الرئيسية نصوصا لاهوتية تعرض نظريات نسب الآلهة وتشكل الكون لمدارس مختلفة.

ج. التعليم:

يبدأ التعليم في سن مبكرة وينتهي في عمر 16 عاما، يجتهد فيها التلميذ طيلة 12 سنة بمدارس خاصة داخل القصر الملكي وتابعة للمعابد، يشرف عليها الكهنة، إن تعلق الأمر بأبناء الأغنياء والنبلاء، أما أبناء الفقراء فقد كان يتكفل بالموهوبين منهم، وينقسم التعليم إلى مرحلتين:

***المرحلة الأولى:**

يتمرن فيها التلميذ على كتابة الرموز والأشكال على لوحة من الطين والخشب باستعمال لونين حبر أحمر اللون والثاني أسود إلى جانب أقلام وهي عبارة عن قصيبات مختلفة الأحجام محفوظة في مقلمة من الخشب.

***المرحلة الثانية:**

بعد نقل التلميذ المستمر للرموز والنصوص يتلقى المتعلم معارف في الأدب والديانة والرياضيات والطب ونحوها مما تم نقله من نصوص، بعد إنهاء تعليمه وتكوينه يعتلي التلميذ مناصب عليا في الإدارة أو المعابد كمحاسب أو طبيب أو كاهن أو مسؤول على إحدى القطاعات الاقتصادية والمالية الأخرى الهامة لمخازن القمح، أو الإشراف على الماشية أو صناعة النسيج والصياغة وكاتب في معبد، أو لدى الملك لكتابة أوامره ورسائله وتسجيل المداخيل والمصاريف فيها أو في بيت المال لجباية الضرائب وتسجيلها وتوزيعها.

2. العمارة:

أ. المساكن: من الملاحظ أن المصريين القدماء بنوا مساكنهم من مواد سهلة التلف رغم أنها كانت زاخرة بالأثاث، ولكن عقيدة البعث والخلود جعلت المصري القديم يهتم بالمقابر والأهرامات من الحجر واهتم بها لأنها في نظره دار الخلود، أما المساكن فهي في الدنيا الفانية.

ب. المعابد: تنقسم المعابد إلى قسمين:

***المعابد الكبيرة:** وهي لعبادة الإله آمون في طيبة ومنها معبد الكرنك ومعبد الأقصر.

-معبد الكرنك: اشترك عدد كبير من الفراعنة في إقامته من أجل عبادة الإله آمون وهو من أضخم المعابد المصرية، ويعتبر معرضا للفن والعمارة والنحت، شيد في عهد رمسيس الثاني.

-معبد الأقصر: يقع إلى الجنوب من معبد الكرنك أقامه الملك أمنحتب الثالث، يعتبر تحفة فنية وروعة في الفن والعمارة لأن أعمدته مزينة بنقوش بديعة جميلة وهذا المعبد أيضا لعبادة الإله آمون.

-معبد أبي سمبل: يوجد ببلاد النوبة أقامه رمسيس الثاني يشرف على النيل وقد بنى رمسيس الثاني أربعة معابد أخرى في بلاد النوبة، يبلغ ارتفاع معبد أبي سمبل 30 متر، وقد وضعت واجهته أربعة تماثيل للملك رمسيس الثاني يبلغ ارتفاع التمثال 20 متر، ويعتبر هذا المعبد لعبادة إله الشمس ويلاحظ أن أول شعاع للشمس تدخل جدرانه الملونة.

***المعابد الصغيرة:**

تقام بها الشعائر والطقوس الجنائزية ومن هذا الطراز معبد هرم خفرع وقد بنيت في عصر الأهرامات، وكانت العادة أن فرعون يقيم معبدين: الأول على حافة الصحراء عند الوادي ويسمى المعبد الوادي وكان هذا المعبد يفتح للشعب، أما الثاني يقام في شرق الهرم وهو خاص بالكهنة وأهل فرعون لإقامة الشعائر الدينية على فرعون، ومن أمثلة هذه المعابد معبد الملكة حتشبسوت والذي سجلت عليه رحلتها التجارية.

3. فن النحت:

برع المصري القديم في النحت حتى وصل إلى حد الإتقان فكان منهم من يطابق الواقع لأن العقيدة الدينية دفعتهم لذلك فلابد أن يشبه التمثال صاحبه حتى يمكن للروح أن تتعرف عليه واستخدموا الألوان الطبيعية وصنعوا لها العيون من البلور الصخري حتى يكون في الوجه مظاهر الحياة، وأشهر التماثيل تمثال الملك خفرع.

كما برعوا في نحت تماثيل من الخشب مثلما برعوا في نقش تماثيل من الحجر والمعدن، ومن أكبر التماثيل في عهد الدولة القديمة تمثال أبي الهول، جسمه جسم أسد ورأسه إنسان دليل على العقل، وإلى جانب التماثيل استطاع المصري القديم أن ينحت المسلات كمسلة أسوان، كانت هذه المسلات وسط المعابد أو عند مدخله.

3.الدين المصري :

إن الديانة المصرية كانت لها مميزات خاصة تتلخص في تعدد الآلهة، عقيدة البحث والخلود، الإيمان بالثواب والعقاب والسمو إلى الوحدانية.

أ. تعدد الآلهة:

قدس الإنسان المصري القديم المظاهر الطبيعية والصفات البشرية كغيرهم من الشعوب القديمة مما أدى إلى تعدد الآلهة وتنوعها فنجد:

*-**الآلهة الكونية:** وهي التي تسيطر على المظاهر الكبرى للكون كالسماء والأرض والشمس والقمر والهواء وغيرها، نذكر على سبيل المثال، آمون، رع، شو، تفنوت، جب، نوت، أوزوريس، نفتيس، ست، حورس وغيرها.

*-**آلهة ثانوية:** هي آلهة أقل أهمية من الآلهة الكونية مختصة بالتفاصيل الصغيرة وشؤون الحياة الدقيقة وهي كثيرة ومتنوعة كالإله آبس.

*-**الآلهة الأجنبية:** هي التي قدمت إلى مصر من بلدان مجاورة عن طريق العلاقات والتأثيرات الروحية والثقافية جاءت من وادي الرافدين، سوريا، بلاد الأناضول، ليبيا...الخ.

ب. عقيدة البعث والخلود:

كانت فكرة البحث والخلود بمثابة العمود الفقري في الدين المصري القديم، فكان المصريون يعتبرون الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فآمنوا بالحياة الثانية وكانوا يعيشون في الحياة الدنيا للتزود للحياة الثانية خلافا فالسومريون ومن أجل ذلك أوجدوا عدة طقوس لتطبيق هذه العقيدة نذكر منها:

- **التحنيط:**

لم تكن الموت عند المصريين سوى خطوة تلبيها خطوات الحياة الأخرى وتستطيع بعده أن تعود الروح إلى الجسد لتستأنف معه الحياة، ولذلك كانوا بحاجة ماسة إلى الاحتفاظ بشكل الجسد وسماته بعد الموت حتى تتمكن الروح من التعرف عليه وتبدأ معه الحياة من جديد، لذلك كانوا يقومون بتحنيط الجسد، وكانت هذه العملية تتم في جو من الطقوس الدينية في مكان بالقرب من المعبد كان يسمى "دار الآلهة الطاهرة" وكانت تستغرق حوالي سبعين يوما.

يستهل المحنطون عمليتهم بغسل جسد الميت بمياه النيل على ضوء ذلك تنزع أعضاء الميت القابلة للتآكل ويغمر الجسد في الملح ثم يغطى بزيوت ودهون وعطور ليلف في لفائف الكتان ويوضع في التابوت.

رغم أن التحنيط مكننا من التعرف على جانب مهم من معتقدات مصر إلا أنه مازال سرا من أسرار المصريين القدماء.

- **دفن الموتى بأثاثهم الجنائزي:**

حرص المصريون على دفن الميت بأدواته ولوازمه اعتقادا منهم أنه سيكون بحاجة إليها في حياته الثانية، فقد اختلف هذا الأثاث الجنائزي من طبقة لأخرى، فنجده بسيطا عند الطبقة العامة وجد فاخرا عند الطبقة الحاكمة والفراعنة، ولذلك فقد كشف علماء الآثار على كنوز ثمينة في حجر الأهرامات التي اعتبرت قبور الفراعنة.

- **القرابين:**

اعتقد المصريون أن الميت بحاجة إلى طعام وشراب لذلك كانوا يقدمون القرابين، تمثلت في الحيوانات والنباتات والرغيف...الخ، وهناك قرانين أخرى تقدم على شرف الآلهة خاصة في المناسبات الدينية لنيل رضاها.

ج. الإيمان بالثواب والعقاب: (يوم الحساب):

كان الاعتقاد السائد عند المصريين أن الموتى تحاسب على أعمالها في الدنيا أمام محكمة إلهية يترأسها الإله أوزوريس بمساعدة الآلهة الثلاث: أنوبيس، معات، وتوت و42 قاضيا، فيتقدم الميت أمام المحكمة ليقرأ العبارات المكتوبة فوق ألواح التابوت وجدار القبر للدفاع عن نفسه وهو ما يسمى بكتاب الموتى.

تبدأ المحاكمة بوزن قلب الميت حيث يوضع في الكفة اليسرى من الميزان وريشة الإلهة معات في الكفة اليمنى ويقوم أنوبيس بعملية الوزن ويسجل توت نتيجة الوزن، ففي حالة كون القلب أثقل من الريشة فهذا يعني أن الميت ارتكب خطايا كثيرة، فهنا يرسل إلى الجحيم ويبقى خالدا في العذاب إلى الأبد، أما إذا كان العكس يرسل إلى السماء وينعم في الجنة أمام رع.

د. السمو إلى الوحدانية:

عندما تولى أمنحتب الرابع في عام 1367 (في عهد الدولة الحديثة) العرش حارب مبدأ التعددية ونادى إلى التوحيد ففرض عبادة الإله آتون الإله الوحيد في مصر، وقاد ثورة ضد الكهنة ولا سيما كهنة الإله آمون الذين وقفوا ضده، وأمر بإغلاق معابد الآلهة في كل أرجاء مصر ثم غير اسمه

وأصبح يعرف بأخناتون "أي المخلص أو خادم آتون" وقد رمز أخناتون بقرص الشمس مع أشعة تنتهي بأيد تمنح الحياة لمن يطلبها.

وهكذا فقد حققت مصر التوحيد في عهد حكم الملك أخناتون ولكن سرعان ما عادت إلى الشرك والتعددية مباشرة بعد وفاته.

المحاضرة رقم 13: الحضارة العربية قبل الإسلام (التاريخ السياسي)

تمهيد

1. الموقع الجغرافي
2. أقسام بلاد العرب
   أ. دول الجنوب
   ب. دول الشمال
   ج. دول الوسط

تمهيد:

عرف العرب قبل مجيء الإسلام عدة حضارات لاسيما في القسم الشمالي والجنوبي، بالإضافة الى إقليم الحجاز، وظهرت عندهم مجموعة من الممالك، وقد انقسم العرب من حيث نمط معيشتهم الى قسمين بدو وحضر، فبالنسبة للبدو فانهم عاشوا على أساس قبلي قوامه الدم والعصبية، وبالنسبة للحضر، فقد تمكنوا من تكوين ممالك على رأسها ملوك.

1. الموقع الجغرافي:

تقع شبه الجزيرة العربية شرقي القارة الافريقية، وجنوبي غربي القارة الأسياوية، يحدها من الشرق العراق والخليج العربي، ومن الغرب البحر الأحمر، باب المندب، خليج العقبة وصحراء سيناء، ومن الشمال بلاد الشام، ومن الجنوب بحر العرب والمحيط الهندي. تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، وقد قسمها الجغرافيون الى خمسة أقاليم رئيسية هي: إقليم تهامة، إقليم الحجاز، إقليم نجد، إقليم العروض وإقليم اليمن.

2. أقسام بلاد العرب: قسم العرب شبه الجزيرة العربية كالتالي:

أ. دول الجنوب:

ظهرت في اليمن، ويعرف سكانها بني قحطان، ويسمون دولهم، المعينية، والسبئية، والحميرية.

- **الدولة المعينية:** حكموا من سنة 3000ق.م الى 1000 ق.م، وتمكن المعينيون خلال هذه المدة من بث نفوذهم السياسي الى فلسطين، بل الى العراق كذلك، ويعود الفضل في توسعاتهم هذه الى نشاطهم التجاري الذي ساعد على نشر لغتهم، وخطهم الذي انتشر الى أوروبا بواسطة الفينيقيين، وقد اتخذوا عاصمتين: العاصمة السياسية وتسمى "معين"، والعاصمة الدينية "بيثل"، وكلتا المدينتين قرب صنعاء.
- **الدولة السبئية:** من المرجح أن الدولة السبأية من الحبشة، نزل أباءها بلاد اليمن قديما واستوطنوها، ومن ثم اتخذوا مدينة مأرب عاصمة لدولتهم الت دامت من 1000 الى 150 ق,م، وحكمها عدة ملوك، أشهرهم "سبأُ" مؤسس الدولة، و"بلقيس" ملكة سبأ التي اتصلت بسيدنا سليمان عليه السلام ، وتزوجت منه بعدما أمنت برسالته. اتخذ السبئيون عادات العرب وتقليدهم ولغتهم

وتمدنهم، ويقول العرب أن سبأ من قحطان، ويسمونهم العرب العاربة، تمييزا لهم عن العرب الذين كانوا قبلهم.

- **دولة حمير:** امتد تاريخ هذه الدولة من 150 ق.م الى سنة 525م، والحميريون فرع من السبأيين، تمكن العرب في عهد الحميريين من تأسيس منطقة نفوذ لهم بالحبشة، وشيدوا فيها حضارة ذات طابع يمني، ولما ضعُفت الدولة الحمْيرية استطاعت جماعة منهم عُرفوا بالتبابعة أن يجددوا شباب الدولة بين 300 و525م، وعندما حارب ذو نواس سكان نجران وأرغمهم على اعتناق اليهودية، تعاون البيزنطيون والأحباش النصارى على غزو اليمن، وانهاء حكم الحميريين.

ب. دول الشمال:

ظهرت الممالك العربية في الجنوب في منطقة واحدة، هي اليمن، أما في الشمال فقد ظهرت في مناطق مختلفة، وهي حسب ظهورها أو تعاصرها: الأنباط، تدمر، المناذرة، والغساسنة، وكلها ممالك أسسها العرب الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية:

- **الأنباط:** (500 ق.م-106م)، هاجرت جماعة من العرب وسكنت في أقصى الجنوب من شرق الأردن الحالي، وأسست دولة عرفت في التاريخ بالأنباط، وعاصمتها " البتراء"، وهي المنطقة المعروفة حاليا بوادي موسى. وقد اعتنى ملوك الأنباط بالتجارة، واتصلوا بالأمم المجاورة واقتبسوا كثيرا من حضارتها، غير أنه لما زادت ثروتهم انغمسوا في الترف، وما لبثوا أن خضعوا لحكم الرومان.
- **تدمر:** هاجرت قبائل من كنعان الى الشام، واستقرت في واحة خصبة كثيرة الأثار، وأسسوا فيها مدينة تدمر بسوريا، ونظرا لموقعها التجاري، أخذت تتوسع الى أن أصبحت دولة قوية، كثيرا ما حاولت المحافظة على التوازن على البارثيين (الفرس) في الشرق والبيزنطيين في الغرب، كما حدث في عهد "أُذينة" الذي اعترف البيزنطيون بفضله ولقبوه ملك الشرق، وبعد وفاته سادهم ازدهار وعظمة تدمر في عهد زوجته "زنوبيا"، فقادوا حملة كبيرة انتهت بتدمير تدْمر وتركوها أطلالا، وسيقت زنوبيا أسيرة الى روما.
- **المناذرة:** بعد تصدع سد مأرب هاجرت جماعة الى الشمال واستوطنت "الحيرة" فعُرفت بالمناذرة، وقد عقد هؤلاء مع السكان الأصليين ومن جاورهم من الفرس تحالفات لصد أي عدوان خارجي

ولعبوا دورا رئيسيا في المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بالتحالف مع الساسانيين ضد البيزنطيين، الى أن ظهرت حركة الفتح الإسلامي، فكان هؤلاء عاملا مساعدا على نجاح الفتوحات العربية.

- **الغساسنة:** وهم من العرب الذين هاجروا من الجنوب واستقروا في مكان يُعرف ب"بئر غسان" في شرق الأردن، لذلك عُرفوا بالغساسنة، وكانوا في بادئ الأمر خاضعين للبيزنطيين، ولما أساء البيزنطيون معاملة الغساسنة في الأخير خاصة في القرن السادس ميلادي، انقلبوا عليهم، وساعدوا العرب أثناء الفتح.

ج. دول الوسط:

ظهرت في وسط الجزيرة العربية عدة دول، ولعل أشهرها:

- **دولة الكنديين:**

قامت هذه المدينة بنفس الدور الذي لعبته دولة المناذرة والغساسنة، اذ كان الكنديون عبارة حاجز بين اليمن في الجنوب، والمناذرة في الشمال، وقد دخلوا عدة حروب مع المناذرة، ودخلوا عاصمتهم، كما اشتبكوا كذلك مع الغساسنة، ولذلك كانت الدولة في حاجة الى أموال كبيرة لتجهيز الجيوش. وحاول حجر بن الحارث زيادة الضرائب، فثارت عليه قبيلة بني أسد وقتلوه، ومن ثم سقطت دولتهم.

- **مدن الحجاز:** وأهمها مكة المكرمة، ويظهر بأن الخليل إبراهيم واينه إسماعيل وزوجته "هاجر" أول من نزلها، ثم نزلتها قبيلة جُرهم، ولما شب سيدنا إسماعيل زاره أبوه وشيدوا معا الكعبة بأمر من الله "إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"، وانتقلت رئاسة مكة الى عدة قبائل، لكنها انتهت الى قريش التي ظهر منها الرسول (ص)، وبعد فتح مكة سنة 8 هـ، أصبحت عاصمة المسلمين الدينية الى يومنا هذا.
- **المدينة:** يظهر أن أول من نزل بها "العمالقة"، وكانت السيادة فيها تنتقل من قبيلة لأخرى، الى أن أصبح فيها ثلاث فئات تتنازع السلطة وهم: اليهود، والأوس، والخزرج، ولما هاجر اليها الرسول (ص) توحدت كلمة العرب، وأصبحت العاصمة السياسية الى أن اتخذ معاوية دمشق عاصمة للدولة الأموية.

المحاضرة رقم 14: مظاهر الحضارة العربية قبل الإسلام

تمهيد

أولا. المظهر الاجتماعي

1.طبقات المجتمع

2. وضعية المرأة

ثانيا. المظهر الاقتصادي

ثالثا. المظهر الديني

تمهيد:

كانت شبه الجزيرة العربية مركزا تجاريا حيويا، حيث كانت قوافل التجارة تسير بين الشرق والغرب، ولقد برزت بعض المدن مثل مكة والبصرة، فكانت نقاط التقاء تجارية مهمة ساهمت من جهة، وبشكل جلي في ازدهار وانتعاش الحياة الاقتصادية خاصة التجارة، واحتكاك بين مختلف القبائل والدول من جهة أخرى.

أولا. المظهر الاجتماعي:

كانت الحياة الاجتماعية عند العرب في العصر الجاهلي بسيطة، ينقسمون الى بدو وحضر، فالبدو يعيشون متنقلين في أرجاء الصحراء طلبا للكلأ والماء والمرعى أو للغزو والغارات على جيرانهم، أما الحضر فكانوا يعيشون حياة مستقرة في مكة ويثرب والطائف ويشتغلون في التجارة، ويعتمدون في غذائهم على التمور والألبان واللحوم والحبوب، وكان الخمر والميسر والصيد من وسائل اللهو التي عرفوها، وتميزوا بها.

1. طبقات المجتمع:

كانت درجة الحرية التي يتمتع بها الفرد هي أساس التقسيم الطبقي عند عرب الجاهلية، وعلى هذا الأساس كان المجتمع يتألف من ثلاث طبقات هي: الأحرار، الموالي والأرقاء.

أ. الأحرار:

هم أبناء القبيلة الصرحاء الأصليون الذين ينحدرون من جد أعلى، يجمعهم دم واحد، وكل فرد من هذه الطبقة يرى أنه مساو للأخرين، وله حقوق متساوية ويُفترض أن يؤدي واجبات متساوية، وأفراد هذه الطبقة إذا خالفوا أو قصروا في أداء واجباتهم أو ارتكبوا عملا من الأعمال التي تُعاب عليها القبيلة، ويتخذ ضده الاجراء المتفق عليها كتركه للقبيلة مثلا وتحريم عليه بعض الحقوق.

ب. الموالي:

أرفع طبقة من العبيد أو الأرقاء، فالمولى عبد عتقه سيده وأصبح حرا له ما للأحرار وعليه ما عليهم، لكنه يظل مرتبطا بسيده القديم برابطة تسمى "الولاء" حتى بعد عتقه، ومن مقتضاها أن المولى اذا مات

من غير وارث، ورثه مُعتقه، واذا قُتل دفعت ديته الى معتقه، واذا ارتكب المُعتق جريمة قُتل أو قُطع عضو، وجبت عليه الدية وعجز أقرباؤه من دفعها، دفعها المولى.

ج. الأرقاء:

من الرقيق أو العبد، وهو انسان محروم من الأهلية، ملك لإنسان أخر، يتصرف به كما يتصرف في ملكه، فإما أن يستخدمه أو يُؤجره، أو يرهنه، أو يبيعه، أو يهبه، وله الحق أن يضربه أو يقتله، وقد انتشرت ظاهرة الاسترقاق عند العرب الجاهلية كما انتشرت عند الشعوب القديمة من قبل، وكان متفشيا عندهم الى درجة أنهم أقاموا لتجارة الرقيق أسواقا تدعى "أسواق النخاسة"، وكان تجار الرقيق يدعون "نخاسين".

أغلب الظن أن العرب كانوا يجلبون أكثر عبيدهم من افريقيا السوداء، ويستخدمونهم في مختلف الصناعات والأعمال وحت في الحرب، إذ ثبت أن مكة كانت تعتمد على رقيقها في حماية قوافلها، وفي حربها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الرق لم يكن محصورا على الأغراب، فقد كان العربي نفسه محلا للاسترقاق عند غزو قبيلة عربية جارتها تحول سكانها الى عبيد، فكان الغزو والشراء من الخارج من أهم مصادر الرق عند عرب الجاهلية.

2. وضعية المرأة:

يستدل من أثار العرب أن المرأة كانت تشارك في الحياة العامة فتخوض الحروب الى جانب الرجل، وتمارس التجارة، وتنظم الشعر، ولكنها الى جانب ذلك كانت ضحية تقاليد ظالمة مهينة، فهي عرضة للسبي في الغزوات، وعرضة للوأد، فاذا ولد الرجل بنت خشي على نفسه العار أو الفقر، فإما أن يبقيها لرعي إبله وغنمه في البادية، وإما أن يدفنها حية. وعن رُؤى ابن عباس أنه قال: "كانت المرأة الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة، فمخضت على رأس تلك الحفرة، فان ولدت بنتا رمت بها في الحفرة، وان ولدت ولدًا حبسته".

وصف الألوسي عملية الوأد بأن الرجل كان يترك ابنته حتى تصبح سداسية، فيحفر لها بئرا في الصحراء، ويحملها اليه، فيقول لهل أنظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب. وهناك نقطة سوداء في تاريخ العرب قبل الإسلام وهي تعدد الأزواج، أي أن تجمع امرأة بين عدد من الأزواج في وقت واحد، وكان الطلاق بيد الرجل، وربما اشترطته المرأة لنفسها.

3. المهر والميراث:

كان الرجل في المجتمع العربي قبل الإسلام يقوم أحيانا بحرمان الزوجة من المهر الذي هو من حقها، وينبغي على الزوج دفعه، مما يوقع الظلم بالمرأة، وهذا ما جعل القرآن الكريم يعالج قضايا متعددة من تعدد الزوجات والزواج من اليتيمة، وكذلك أخذ المهر الذي هو حق للمرأة مثلما جاء في سورة النساء الأيتين 3 و4.

أما فيما يتعلق بقضية الميراث بالنسبة للمرأة، فهو مرتبط بطبيعة الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة، فهناك إشارات عديدة الى القبائل العربية التي لم تكن تورث الإناث، والبعض لا يورث الزوجات، لكن هذا لا يمنع أن هناك بعض الإشارات الى قبائل عربية كانت تورث للإناث نصف ما تورثه للبنين.

ثانيا. المظهر الاقتصادي:

قامت الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية على نشاطين اقتصاديين أساسيين، هما الرعي والتجارة بالإضافة الى الزراعة التي كانت محدودة في بعض المناطق التي توفرت فيها المياه، أما الصناعة فكانت يدوية وقليلة، وفي سياق الحديث عن التجارة فإنها كانت مزدهرة الى حد قول الطبري أن القوافل التجارية كانت تبلغ خمسمائة وألف بعير، وكانت تسير فتتقدمها الكشافة ويحميها الحراس من الغارات.

إن طبيعة المناخ الجاف وقلة المياه، كانا من أسباب ندرة الغطاء النباتي، لذلك احترف العرب مهمة الرعي وقاموا بتربية الحيوانات التي لا تتطلب تربيتها كميات وافرة من المياه مثل، الماعز والأغنام والخيول وغيرها، كذلك عرفت شبه الجزيرة العربية نشاطا اقتصاديا من نوع أخر، وهو الأسواق، حيث كانت هذه الأخيرة تزدهر في مواسم الحج، إذ يتوافد التجار من جميع أنحاء الجزيرة لعرض بضاعتهم ومنتوجاتهم في هذه الأسواق، أشهرها سوق "عكاظ" وسوق "عدن" وسوق "الحجاز" وغيرها.

ثالثا. المظهر الديني:

كانت عبادات القبائل العربية قبل الإسلام كثيرة ومتنوعة، وكانت الشمس من أهم العبادات التي اتخذت عدة أسماء وعدة رموز، وكان العرب يصلون ويسجدون للشمس، فشيدت لها المعابد، وقُدمت القرابين على شرفها، ولم تقتصر عبادة الظواهر الطبيعية على الشمس، بل هناك فئات أخرى انصرفت

الى عبادة الكواكب والنجوم بأشكالها كالقمر والزهرة وعطارد والثريا وغيرها، وقد عُرفت هذه الجماعة بالصائبة التي استمدت أصولها الاعتقادية كما تدعي بالأخذ من محاسن ديانات العالم، وإخراج القبيح منها قولا وفعلا، ولهذا عُرفوا بالصائبة، وقد وُجد الى جانب هؤلاء عبدة النار المجوسية، ودخلت هذه العبادة عن طريق الفرس في "الحيرة" و"اليمن"، كما انتشرت الزندقة بين صفوف سكان شبه الجزيرة العربية، والزنادقة أنكروا الخالق، ومنهم من أنكر الرسالة وبعث الأنبياء. قدس العرب كذلك الحيوانات بكل أنواعها، كما انتشرت لديهم عبادة الأصنام، فكان أول من نصب الأصنام عمر بن ربيعة.

الخاتمة:

من خلال رحلتنا الطويلة عبر الحضارات الإنسانية القديمة التي امتدت من عصور ما قبل التاريخ الى العصور التاريخية القديمة، والتي تناولناها في هذه المحاضرات التي قدمناها لطلبتنا الأعزاء خلال سنوات طويلة من التدريس، وقَفنا على مظاهر متنوعة شملتها هذه الحضارات، سياسيا واجتماعيا وفكريا ودينيا وتشريعيا، وما الى ذلك من ابداعات العقل البشري منذ أن خُلق. ولقد تمكننا من خلال هذه الدروس التي تطرقنا اليها، الوصول الى بعض الاستنتاجات يمكن تلخيصها فيما يلي:

تباين واختلاف الزمن الذي عرف فيه الانسان الاستقرار وتشكل التجمعات السكانية، فمن الأرجح أن تكون الحضارة قد انطلقت من بلاد الرافدين، فقامت فيه واحدة من أعرق الحضارات الإنسانية، فقد مورست الزراعة التي أدت الى الاستقرار في القرى بجنوب الوادي في المنطقة المعروفة باسم سهل سومر، وبرع سكانها في بناء السدود وحفر القنوات لري أراضيهم الزراعية وحمايتها، وكان انجازهم الاكبر في تاريخ العالم هو اختراعهم لنوع من الكتابة في حوالي عام 3500 ق.م والتي تعرف بالكتابة المسمارية.

كما اشتهرت حضارة بلاد الرافدين بما عُثر فيها من قوانين تُعد أقدم ما عُرف حتى الأن، اذ لم تصلنا أية مجموعات قانونية سبقتها في التاريخ، وتعتبر تشريعات حمورابي هو الاكتشاف الأكبر في بلاد الرافدين والتي بلغت موادها حوالي 300 مادة، تطرق فيها الملك حمورابي الى تنظيم مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الرافدي.

وجود ارتباط وثيق بين بلاد الرافدين وبلاد عيلام في العصور القديمة، ولقد ساهم هذا الارتباط في نقل التأثيرات الحضارية الى الشرق، حيث امتدت الى أرجاء أخرى من بلاد فارس، وقد اتصف هذا الارتباط بالتنوع وشموله لجوانب ثقافية واقتصادية وسياسية مختلفة.

كانت سوريا مسرحا لسلسلة من الغارات والغزوات، دون أية فرصة دائمة لإنشاء نظم سياسية قوية، فقد كانت بمثابة أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والحربية للدول الكبرى الواقعة بينها، تدفقت اليها الشعوب مرة بعد أخرى، وذلك لأنها كانت منطقة جذب في حد ذاتها لخصوبة أراضيها، ويمكن دخولها من كل جانب والانتقال منها في كل اتجاه، ويضاف الى ذلك أنها كانت مفتوحة أمام مصر وبلاد الرافدين وأسيا الصغرى والبحر المتوسط، فضلا عن الصحراء التي جاء منها البدو الساميون.

وقد كان لموقع سوريا الجغرافي أثر في عدم وجود قوة سياسية كبرى تضم الإقليم السوري كله، ونتيجة لذلك لم تظهر وحدة سياسية تجمع بلاد الشام جميعها في دولة واحدة، وانما كان بعضها عبارة عن وحدات صغيرة تقوم في مدن حصينة، تمكنت في فترة من الفترات أن تتولى الزعامة وتنشأ حضارة، كحضارة الفينيقيين التي اكتسبت شهرة واسعة بين شعوب وحضارات العالم القديم.

الحضارة الفرعونية التي أبهرت ولاتزال تُبهر العالم بخصوصياتها وانجازاتها الحضارية، حضارة منفردة لاتزال أثارها ماثلة للعيان حتى اليوم، جعلت مصر تتبوأ مكانتها في مقدمة حضارات التاريخ الكبرى كلها، ولقد شكلت مركز ثقل اقتصادي بين دول المنطقة، بلغت ذروة حضارتها في عهد الدولة الحديثة.

لقد أدى توسع الدولة الأخمينية في أسيا الصغرى، الى اندلاع سلسلة من الحروب والمواجهات بين الإمبراطورية الفارسية واتحاد المدن اليونانية بزعامة أثينا، عُرفت في التاريخ بالحروب الميدية، وقد تمكنت أثينا من التفوق والانتصار، مما أتاح لها فرصة الهيمنة وانتشار الفكر الديمقراطي الذي كان يمثل الأفكار السياسية الأثينية في معظم دويلات المدن اليونانية.

قائمة البيبليوغرافية:

أولا. المصادر:

1. القرأن الكريم
2. أحمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، دار القلم، 1966.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون.1 مج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
4. ديودور الصقلي، المكتبة التاريخية، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، دار الفرقد.
5. عبد الاله الملاح، تاريخ هيرودوت، المجمع الثقافي، 2001.
6. هوميروس، الالياذة، ترجمة أحمد عثمان، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2008.

ثانيا. المراجع:

7. إبراهيم شرفي: تاريخ الحضارات القديمة، إشراف وإعداد: جموعي مشري، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1974.
8. ايفان كونج، السحر والسحرة عند الفراعنة، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
9. ابن نبي، مالك: شروط النهضة. 1مج. ط3. ترجمة عمر كامل مسقاوي. وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. 1969م.
10. أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
11. أبو المحاسن عصفور، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
12. أحمد أمين سليم: دراسات في الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، 2008.

13. أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.
14. أحمد أمين سليم، سوزان عباس عبد اللطيف: دراسات في حضارات الشرق الأدنى القديم، العراق وإيران، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013.
15. أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1980.
16. أحمد فخري، مصر الفرعونية، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى 332م، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة، 2012.
17. أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، الجزء الأول، ترجمة، فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
18. أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأحداث، الطبعة الأولى، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2015.
19. بدران بن لحسن، مفهوم الحضارة: دراسة تحليلية مقارنة عابرة للثقافات، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 07، عدد02، 2021.
20. البوطي، محمد سعيد رمضان: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. 1مج. ط1. دمشق: دار الفكر، 1987م.
21. توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب أسيا القديم من أقدم العصور الى عام 1190ق.م(الشرق الأدنى القديم/ بلاد الشام)، دار دمشق، 1985.
22. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1976.
23. جيميز (ت. ج)، الحياة أيام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة)، الهيئة المصرية للكتاب، 1997.
24. حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1978.
25. خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

26. ديورانت، ول: قصة الحضارة. ترجمة د.زكي نجيب محمود. 14 مج. ط3. القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. 1965م.

27. الرافعي مصطفى، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، 1984.

28. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ت).

29. سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

30. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، بيروت، دار النهضة، 1973.

31. شارن شافية، حضارة مصر الفرعونية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009.

32. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2012.

33. عامر علي النعيمي، مفهوم الحضارة وعناصر تكوينها (دراسة تحليلية ومقارنة)، مجلة الأحياء، المجلد 23، العدد 32، جانفي، 2023.

34. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012.

35. ف. دياكوفداس، كوفاليف، الحضارات القديمة، ج1، ترجمة نسيم والحيم اليازجي، منشورات دار علاء الدين، دمشق 2009.

36. فرحة هادي عطيوي، الحروب الفارسية (الميدية) اليونانية 490-479 ق.م، دراسة في الأسباب والنتائج، مجلة الجامعة العربية، العدد 57، الجزء الثاني.

37. قوراري سليمان، محاضرات في تاريخ الحضارات الإنسانية، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2019.

38. الكيلاني، د. إبراهيم زيد، وآخرون: دراسات في الفكر العربي الإسلامي. 1مج. ط3. عمّان، 1991م.

39. لبيب عبد الستار، الحضارات، ط2، دار الشرق، بيروت، لبنان، 1986.
40. لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، بيروت، دار النهضة، 1979.
41. محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
42. محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره، ط1، دار العلم للملايين، 1969.
43. محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989.
44. محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.
45. محمد غازي تدمري، حضارات التاريخ الكبرى، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، دمشق، 2018.
46. محمود أمهز، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربة، بيروت، 2010.
47. نخبة من الباحتين العراقيين، حضارة العراق، دار الجيل، بغداد، 1985.
48. نعمان محمود جبران، روضة سحيم حمد أل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، (د.م.ن)، 1998.
49. نهار سليمان السعدون، بلاد الرافدين وعيلام (العلاقات الحضارية في بلاد القديم)، أرام للنشر، دمشق، 2019.
50. ياروسلاف تشريني، الديانة المصرية القديمة، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1996.

فهرس الموضوعات:

التعريف بالوحدة	1
أهداف التعليم	1
المعارف المسبقة المطلوبة	1
القدرات المكتسبة	2
الكلمات المفتاحية	2
الفئة المستهدفة	2
الهدف العام	2
الأهداف الخاصة	2
محتوى المادة	2
مقدمة	4
المحاضرة رقم 1: مفهوم الحضارة	
تمهيد	9
1. معنى الحضارة	9
1.1. معنى الحضارة لغة	9
2.1 معنى الحضارة اصطلاحا	9
2. مفهوم الثقافة	12
3. عوامل قيام الحضارة	13
المحاضرة رقم 2: الإطار الزماني والمكاني لظهور الحضارات	
تمهيد	15
أولا. الاطار الزمني لظهور الحضارات	15
1. عصور ما قبل التاريخ	15
2. العصور التاريخية	17
3. فوائد دراسة التاريخ	18
ثانيا. الإطار المكاني لظهور الحضارات	18
1. الشرق الأدنى القديم	18
2. جنوب أوروبا	18
3. شمال افريقيا	18
المحاضرة رقم 3: حضارات جنوب غرب أسيا ومصر	

تمهيد	20
أولا. حضارات غرب جنوب أسيا	20
1. حضارة عيلام	20
2. حضارة سومر	21
ثانيا. حضارة مصر	23
1. حضارة مصر في مرحلة ما قبل التاريخ	23
2. حضارة مصر في مرحلة فجر التاريخ	23
3. حضارة مصر في عهد الأسرات (قبل توحيد المملكتين)	24
المحاضرة رقم 4: المصادر المادية والأدبية لدراسة الحضارة	
تمهيد	26
أولا. المصادر المادية	26
1. تعريفها	26
2. أمثلة عن المصادر المادية	26
ثانيا. المصادر الأدبية	27
1. تعريفها	27
2. أمثلة عن المصادر الأدبية	27
المحاضرة رقم 5: حضارة بلاد الرافدين (المراحل الكبرى)	
تمهيد	31
أولا. أهم الدول التي ظهرت في بلاد الرافدين	31
1. الدولة السومرية	31
2. الدولة الأكادية	32
3. الدولة البابلية (العصر البابلي القديم)	33
4. الدولة الأشورية	34
5. الدولة الكلدانية (العهد البابلي الأخير 625-539 ق.م)	35
ثانيا. الحياة السياسية في بلاد الرافدين	36
1. الملك	36
2. المهام الملكية	36
3. الجهاز الإداري	37
المحاضرة رقم 6: مظاهر حضارة بلاد الرافدين	

تمهيد	39
أولا. الحياة الاجتماعية في بلاد الرافدين	39
1. الأسرة	39
2. الزواج	39
3. الطلاق	40
4. الأبناء	40
5. التبني	41
6. الميراث	41
ثانيا. الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين	41
1. الزراعة	41
2. الري	42
3. التجارة	42
4. صناعة التعدين	43
ثالثا. الحياة الفكرية والدينية	44
1. الكتابة	44
2. الشعر	44
3. الأساطير الدينية	45
4. ملحمة جلجامش	45
5. الألهة الرئيسية	46
6. المعابد	47
7. الكهنة	48
8. عالم ما بعد الموت	48
المحاضرة رقم 7: حضارة فارس وعيلام	
تمهيد	51
1. الموقع الجغرافي لبلاد فارس	51
2. الموطن الأصلي للفرس	51
3. الأخمينيون	52
4. مظاهر الحضارة الفارسية	52
1.4 المظهر السياسي	52

2.4 المظهر الاجتماعي	53
3.4 المظهر الديني والثقافي	53
المحاضرة رقم 8: حضارة سوريا القديمة	
تمهيد	56
1. الموقع الجغرافي	56
2. أصل السكان والتسمية	56
3. الشعوب التي سكنت سوريا	56
أ. الأموريون	57
ب. الكنعانيون(الفينيقيون)	57
ج.الأراميون	57
د. العبرانيون	58
4. مظاهر الحضارة الفينيقية	59
أ. المظهر الاقتصادي	59
ب. المظهر الفكري والفني	61
ج.المظهر الديني	62
المحاضرة رقم 9: التوسع والمواجهة في جنوب غرب أسيا (الحروب الميدية)	
تمهيد	
1. التعريف بالميديين	66
2. مجالهم الجغرافي	66
3. أسباب الحروب الميدية	66
4. المراحل	67
5. النتائج	68
المحاضرة رقم 10: النزاع الفارسي المصري–حروب البيلوبونيز	
أولا. النزاع الفارسي المصري	70
1. أسباب الغزو والعوامل المساعدة	70
2. سير الغزو	70
ثانيا. حروب البيلوبونيز	71
1. أسباب الحروب	71
2. مراحل الحروب	72

أ. المرحلة الأولى (حرب أرشدموس)	72
ب. المرحلة الثانية	73
المحاضرة رقم 11: حضارة مصر الفرعونية (التاريخ السياسي)	
تمهيد	76
1. الموقع الجغرافي لمصر	76
2. طرق دراسة تاريخ مصر القديم	76
3. التاريخ السياسي لمصر	77
أ. عهد الدولة القديمة	77
ب. عهد الدولة الوسطى	78
ج.عهد الدولة الحديثة	78
4. نظام الحكم والإدارة	79
المحاضرة رقم 12: مظاهر حضارة مصر الفرعونية	
تمهيد	80
أولا. الحياة الاجتماعية في مصر الفرعونية	80
1. طبقات المجتمع	81
2. الأسرة	82
ثانيا. الحياة الاقتصادية في مصر الفرعونية	84
1. الزراعة	84
2. الثروة الحيوانية	85
3. الصناعة	85
4. التجارة	86
ثالثا. الحياة الفكرية والدينية في مصر الفرعونية	86
1. الفكر المصري	86
2. العمارة	88
3. فن النحت	89
4. الدين المصري	89
المحاضرة رقم 13: الحضارة العربية قبل الإسلام (التاريخ السياسي)	
تمهيد	93
1. الموقع الجغرافي	93

2. أقسام بلاد العرب	93
أ. دول الجنوب	93
ب. دول الشمال	94
ج. دول الوسط	95
المحاضرة رقم 14: مظاهر الحضارة العربية قبل الإسلام	
تمهيد	98
أولا: المظهر الاجتماعي	98
1. طبقات المجتمع	98
2. وضعية المرأة	99
3. المهر والميراث	100
ثانيا: المظهر الاقتصادي	100
ثالثا: المظهر الديني	100
الخاتمة	102
قائمة البيبليوغرافية	104
فهرس الموضوعات	108